جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

من بلاغة أحرف الجواب في القرآن الكريم
(إذاً) أنموذجا

إعداد
د/ أسامة أحمد عطا ألفي
مدرس البلاغة والنقد كلية اللغة العربية بالزقازيق

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الرابع .. نوفمبر)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

من بلاغة أحرف الجواب في القرآن الكريم (إذًا) أنموذجا

أسامة أحمد عطا ألفي

قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: Osamaalfy.25@azhar.edu.eg

الملخص:

يهتم هذا البحث بإبراز القيمة البلاغية لحرف الجواب (إذ) من خلال تسليط الضوء على الصور المتنوعة التي يبرز بصددها، والدور الذي يؤديه في كل موقع منها ، وقد عرض البحث لهذا في نقاط مفصلة مهد لها بالحديث عن تحقيق القول في معنى (إذًا)، والقيمة الدلالية لحرف الجواب (إذًا)، ثم أتبعت هذا ببيان تفصيلي لكل صورة على حدة مع توطئة كاشفة عن محتوها، مبتدئا هذا التفصيل ببيان بلاغة هذا الحرف في إطار الإجابة عن الشرط المذكور، ثم اتبعته ببيان بلاغته في إطار الإجابة عن شرط محذوف، ثم كشفت عن بلاغة هذا الحرف في إطار الإجابة عن السؤال، ثم بلاغة هذا الحرف في إطار الإجابة على قول، وأخيرا بلاغته في ضوء الإجابة على جملة القسم، وقد سرت في هذا على المنهج التحليلي للكشف عن القيمة البلاغية لحرف الجواب (إذًا)، وقد قمت في سبيل هذا بالنظر في كل الآيات التي جاءت فيها (إذًا) على جهة الحصر، ثم كشفت عن وجه الحاجة إلى هذا الحرف، والدور الذي يؤديه في جملته، وعلاقة هذا بالمقام، وذلك بعد النظر في جهة ارتباط الحرف بما تقدم، والكشف عن علاقة (إذًا) بالتصريح بالشرط أو حذفه .

الكلمات المفتاحية: أحرف، بلاغة، الجملة الشرطية، القرآن الكريم، الجواب

Honoring Parents in the Holy Quran From the eloquence of the letters of the answer in the Noble Qur'an (so) as a model

Osama Ahmed Atta Alfi
Department of Rhetoric and Criticism, College of Arabic Language in Zagazig, Al -Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: Osamaaalfy.25@azhar.edu.eg

Abstract:
This research is concerned with highlighting the rhetorical value of the answer letter (if) by shedding light on the various images in which it appears, and the role it plays in each of these images. The research presented this matter in detailed points, paving the way for it by talking about verifying the statement in the meaning of (if)), and the semantic value of the letter of the answer (then), then I followed this with a detailed statement of each image separately with a preface revealing its content. I began this In detail, I explained the eloquence of this letter in the framework of answering the aforementioned condition, then I followed it by explaining its eloquence in the framework of answering a deleted condition, then I revealed the eloquence of this letter in the framework of answering the question, then the eloquence of this letter in the framework of answering a statement, and finally its eloquence in the light of a sentence. Section In this, I have been on the analytical approach to reveal the rhetorical value of the letter (then), and I have been in this way of this in all the verses in which it came (so) on the limit, then revealed the need for this letter, and the role that it plays in its sentence And the relationship of this to the shrine, after looking at the letter of the letter to the foregoing, and revealing a relationship (then) to declare or delete the condition.

Keywords: Letters, Rhetoric, Police sentence, The Noble Qur'an, The answer.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرمنا بالعربية لسانا وبيانا، وأنزل على نبيه القرآن معجزة وتبيانا ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأكرم رسله، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فالربط والارتباط بين الجمل باب واسع لا يقتصر على الوصل والفصل، فهناك أدوات لفظية أخرى للربط بين الجمل منها (إذًا)، وهي من حروف الجواب التي تأتي للإجابة عن كلام سابق، وتختلف (إذاً) عن أخواتها من أدوات الجواب في أنها تأتي بين كلامين لإنشاء الربط والارتباط بينهما بحيث لا يفهم الارتباط بدونها، فهي تبرز صلة وعلاقة قد تبدو خفية، وذلك من خلال تنبيهها وإعلامها بأن ما بعدها يتضمن إجابة للمتقدم، وقد تأتي مع وضوح العلاقة والارتباط بينها وبين ما جاءت لتجيب عنه، وهي في هذا تشبه الفاء الواقعة في جواب الشرط من ناحية وقوعها بين أمرين بينهما من العلائق الإعرابية ما يغني عن الربط، ودورها في هذا لا يقل أهمية عن الفاء، ومع هذا لم تحظ حروف الجواب عامة بدراسة بلاغية في كتاب الله(عز وجل)، ولهذا فقد عقدت العزم على الوقوف مع أحد أبرز حروفها، وهو حرف الجواب (إذًا) لأكشف عن قيمته البلاغية في كتاب الله(عز وجل) وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع إلى جانب ما سبق عدة امور أهمها:

الرغبة في دفع ما يثار حول القرآن من زيادة بالكشف عن أهمية هذا الحرف في الربط بين كلامين بينهما من الاتصال ما يغني الربط، الأمر الذي قد يترخص معه بالقول بالزيادة، الرغبة في الكشف عن القيمة البلاغية لهذا الحرف خاصة أن حرف الجواب (إذًا) من بين أحرف الجواب له طبيعة خاصة، فهو لا يأتي في إطار صورة محددة، وإنما قد يأتي في إطار الشرط، و القسم، والاستفهام، وغير ذلك لفت الأنظار إلى العلاقة القوية بين مجيء جملة (إذًا) جوابا لكلام محذوف وشبه كمال الاتصال.

وقد جاء هذا البحث: (من بلاغة أحرف الجواب في القرآن الكريم (إذًا) أنموذجا) في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع.
أما المقدمة: فتناولت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، والمنهج المتبع.
وأما التمهيد: فضمنته الحديث عن ثلاثة أمور:
الأول: تحقيق القول في معنى (إذًا)
الثاني: القيمة الدلالية لحرف الجواب (إذًا)
الثالث: موقع حرف الجواب (إذًا) من شبه كمال الاتصال
وأما بالنسبة لمباحث البحث فجاءت على النحو الآتي:
المبحث الأول:بلاغة حرف الجواب (إذًا) الواقع في الإجابة عن الشرط المذكور.
المبحث الثاني: بلاغة حرف الجواب (إذًا) الواقع في إطار الإجابة عن الشرط المحذوف.
المبحث الثالث: بلاغة حرف الجواب (إذًا) الواقع في إجابة سؤال.
المبحث الرابع:بلاغة حرف الجواب (إذًا)الواقع في إجابة قول أو محاور.
المبحث الخامس: بلاغة حرف الجواب (إذًا) الواقع في الإجابة عن القسم.
وأما بالنسبة للخاتمة فضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

وقد سرت في هذا على المنهج التحليلي للكشف عن القيمة البلاغية لحرف الجواب (إذًا)، وقد قمت في سبيل هذا بالنظر في كل الآيات التي جاءت فيها (إذًا) على جهة الحصر، ثم كشفت عن وجه الحاجة إلى هذا الحرف، والدور الذي يؤديه في جملته، وعلاقة هذا بالمقام، وذلك بعد النظر في جهة ارتباط الحرف بما تقدم، والكشف عن علاقة (إذًا) بالتصريح بالشرط أو حذفه .

هذا، والله هو المعين، والهادي إلى الصراط المستقيم، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد:

أولا: تحقيق القول في معنى (إذًا).

ذكر سيبويه في معنى (إذًا) أنها "جواب وجزاء "[١] وقد اختلف النحاة في فهم كلام سيبويه، هل هذا خاص بكل موضع ترد فيه (إذَا)، وهل يجتمعان أم تكون لأحدهما في موضع، وللآخر في موضع، وفي هذا يقول صاحب الجنى الداني: "فحمله قوم، منهم الشلوبين، على ظاهره، وقال: إنها للجواب والجزاء، في كل موضع. وتكلف تخريج ما خفي فيه ذلك. وحمله الفارسي على أنها قد ترد لهما، وهو الأكثر، وقد تكون للجواب وحده، نحو أن يقول القائل: أحبك، فتقول: إذاً أظنك صادقاً. فلا يتصور هنا الجزاء."[٢]

ولا أرى ما ذهب إليه الشلوبين لأنه حمل دلالة (إذًا) على الجواب والجزاء على الجملة الشرطية في كل موضع، وهذا ما يخالفه واقع النظم الشريف، ثم إن دلالتها على الجزاء لا تتحقق إلا مع الجملة الشرطية، ولا معنى للجزاء إذا ما جاءت (إذًا) في إطار القسم، وشيء آخر راجع إلى أن جهة الدلالة على الجواب والجزاء منفكة، فقد تكون جوابا باعتبار سؤال، وقد تكون جوابا باعتبار إجابة قائل، وقد تكون جوابا باعتبار الشرط، وهكذا، أما دلالتها على الجزاء فلا يكون إلا مع الجملة الشرطية.

(١) شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي : تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي(دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م) : ٥/ ١١١

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي: تحقيق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة:الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢ م) :٣٦٤

والمهم أن هذا لم يكن هو الخلاف الوحيد في فهم معنى (إذا)، فقد تشعب الخلاف بين العلماء، فاختلفوا في فهم المراد من الجواب، واختلفوا كذلك في فهم المراد من الجزاء.

تحقيق القول في معنى الجزاء، واختلاف العلماء فيه:

اختلف العلماء في فهم معنى الجزاء، هل المراد جزاء الشرط، أو الجزاء هنا مراد به المجازاة على فعل؟ وقد اختار جمع من العلماء التوجيه الأول، واختار آخرون التوجيه الثاني، وفي هذا كلام كثير أحسن العلامة محمد عبدالخالق عضيمة في عرضه.(١)

ورأيي أن حمل الجزاء هنا على معنى المجازاة متعذر في بعض ما جاء في القرآن ومن ذلك قول الله ﴿... وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾ {الكهف . ٥٧} إذ لا تصح المجازاة هنا، وإنما هذا من تعكيس الكلام، ومثله كذلك: "إني أحبك"، فيقول "إذنْ أَظنك صادقاً"، فظنكَ الصدقَ فيه ليس فيه معنى الجزاء لقوله "إني أحبكَ"(٢)، ولهذا أرى أن حمل الجزاء على جزاء الشرط أولى، وقد سار على هذا الزمخشري، ولم يخالف إلا حين اضطر إلى المخالفة، وذلك عند قول الله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾(٣){الشعراء . ٢٠} هذا هو تحقيق القول في الجزاء.

---

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عضيمة (ت ١٤٠٤ هـ) (دار الحديث، القاهرة . بدون طبعة) : ١/ ١٦٤. ١٦٧

(٢) جامع الدروس العربية: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (المكتبة العصرية، صيدا – بيروت الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م) : ١٦٩/٢

(٣) ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: (دار الكتاب العربي – بيروت . الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ) : ٣٠٦/٣

تحقيق القول في معنى الجواب، واختلاف العلماء فيه:

أما بالنسبة لمعنى الجواب فـ" المراد بكون (إذًا) للجواب، أن تقع في كلام يجاب به كلام آخر ملفوظ به أو مقدر، سواء وقعت في صدره، أو في حشوه، أو في آخره."[١] ومعنى هذا أن (إذًا) ليست جوابا على الحقيقة، فالعبارة السابقة صريحة في أن (إذًا) تقع في كلام يجاب به كلام آخر، ومن ثم فإطلاق الجواب عليها هو من باب نسبة ما للكل إلى ما للجزء؛ فهو مجاز مرسل علاقته الكليةٍ، وقد نبه العلامة الدسوقي إلى هذا، فقال: "والمراد بكونها جوابا: أنها حرف تصحب الجواب، وإن لم تكن رابطة له بالشرط، فأطلق عليها الجواب تجوزا؛ نظرا إلى ملابستها له ووقوعها في صحبته، وليس المراد بكونها جوابا أنها نفس الجواب قطعا، ولا رابطة للجواب بالشرط؛ لأن المصنف عاب على المعربين في قولهم أنها جواب للشرط."[٢]

ونلحظ في كلام العلامة الدسوقي أنه خص الجواب في العبارة السابقة بجواب الشرط، وهذا لأن (إذا) غالبا تأتي مع الشرط، ونظرا لهذا الشيوع، فقد فهم بعض النحاة أن المراد بكونها جوابا أن هذا الحرف "لا يصحب إلا جملة هي جواب شرط مذكور، كقولهم: إن تأتني إذن آتك، أو مقدر بـ إن"[٣] وليس هذا

(١) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: الشيخ : خالد الأزهري، (دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م) : ٣٦٧/٢

(٢) حاشية الدسوقي ضمن مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام ، الشيخ/ محمد عرفة الدسوقي (دار السلام . الطبعة الثالثة . ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م) : ٣٧/١

(٣) شرح تسهيل الفوائد: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين: تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون(دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى١٤١٠هـ – ١٩٩٠م) :١٩/٤

بصحيح؛ لأن المراد بكونها جوابا: "أن تقع صدر كلام وقع جوابا لكلام سبق تحقيقا أو تقديرا فلا تقع ابتداء كلام مستقبل غير مرتبط بشيء قبل."[١] ولعله ذكر هذا لأن "الأكثر أن تكون جوابا لـ (إن) أو(لو) ظاهرتين أو مقدرتين."[٢] والوجه ما أشار إليه الطاهر بن عاشور في قوله: "والوجه أن الجواب هو ما يتلقى به كلام آخر سواء كان سؤالا أو شرطا أو غيرهما.[٣]" وهذا ما تشهد بصحته مواقع (إذًا) في القرآن الكريم.

الثاني: القيمة الدلالية لحرف الجواب (إذًا)

قد يسبق إلى الوهم نظرا لوقوع (إذًا) نتيجة لكلام سابق أنها زائدة؛ لأنها وقعت بين كلامين بينهما من الاتصال ما يغني عن الرابط، ومن ثم قد يتصور أنه ليس لهذا الحرف قيمة، والحق أن مصطلح الزيادة مما ينبغي أن ينزه عنه كتاب الله، فهو آية البيان الأعلى المنزه من كل نقص.

ومن يطالع كتب النحاة يجد إشارات صريحة للقيمة الدلالية لهذا الحرف، وتظهر هذه القيمة كما نقلها أبو حيان وغيره[٤] في أنها تأتي في الكلام على وجهين: "أحدهما: أن تدل على إنشاء الارتباط، والشرط بحيث لا يفهم الارتباط من غيرها في ثاني حال، فإذا قلت أزورك فقلت: إذن أزورك، فإنما أردت أن تجعل فعله شرطًا لفعلك، وإنشاء السببية في ثاني الحال من ضرورته أنها تكون في الجواب، وبالفعلية، وفي زمان مستقبل، والوجه الثاني: أن تكون مؤكدة جواب

(١) حاشية الدسوقي ضمن مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ٣٦/١ في الحاشية

(٢) السابق: ١/ ٣٧ صلب الصفحة

(٣) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) : ١٨١/٤

(٤) ينظر على سبيل المثال: الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي: ٣٦٤

ارتبط بمتقدم، أو منبهة على مسبب حصل في الحال نحو: إن أتيتني إذا آتك، ووالله إذن أفعل، وإذن أظنك صادقًا، تقوله لمن حدثك، فلو حذفت إذن فهم الربط"[١]

وانشاء الارتباط الذي ذكر في دلالة (إذًا) إنما يكون حين يطوى من الكلام شطره الأول، فتأتي (إذًا) لتنشأ الارتباط وتنبه عليه، ودورها في هذا هو الإعلام بالأمرين معا، وهذا ظاهر في المثال المذكور، حيث نبهت (إذًا) على شرط محذوف جاءت هي لتجيب عنه.

أما بالنسبة لدلالة التأكيد فهي راجعة إلى كونها واقعة بين أمرين بينهما من الاتصال ما لا يخفى، ومن ثم فإن دخولها فيه دعم للارتباط الحاصل بين (إذًا) وجملتها، وما جاءت لتجيب عنه على وجه التأكيد، شأنها في هذا شأن الفاء التي تأتي في جواب الشرط لتؤكد على اختصاص الجواب بالشرط.

وقد ذهب العلامة الرضي في توجيه دلالة التأكيد في (إذًا) وجهة أخرى، فقال: "إن (إذن) مع تنوينه الذي هو عوض من الفعل، بمعنى حرفي الشرط المذكورين مع فعل الشرط، نحو: لو زرتني إذن أكرمتك، وإن جئتني إذن ازرك، فكأنك كررت كلمتي الشرط مع الشرطين للتوكيد."[٢]

واعتبار (إذًا) على معنى الشرط وإن ذهب إليه بعض من العلماء؛ ليس هو الوجه، وأرى أن هذا الفهم راجع إلى كثرة مخالطة هذا الحرف للشرط وجوابه، فحمل عليه، وليس هو إياه.

---

(١) ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد . مراجعة د: رمضان عبد التواب (مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م) : ٤/ ١٦٥٥

(٢) شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الأستراباذي: قدم له ووضع حواشيه وفهارسه : إميل بديع يعقوب (دار الكتب العلمية، بيروت) ٤٠/٤

الثالث: موقع حرف الجواب (إذًا) من شبه كمال الاتصال

لجملة الجواب التي تصحبها (إذًا) علاقة وثيقة بشبه كمال الاتصال، وليس هذا على الإطلاق، وإنما يتحقق إذا جاءت (إذًا) جوابا لسؤال ملحوظ، تولد من كلام سابق، فتأتي جملة (إذًا) للإجابة عن هذا السؤال، وهذا ما ذكره العلماء بعينه في صور شبه كمال الاتصال.

ولعل علماء البلاغة لم ينبهوا على هذا عند حديثهم عن شبه كمال الاتصال؛ لأنهم كانوا بصدد وضع قاعدة عامة، أو أن الكلام معها ليس على إطلاقه في الصور كلها، وهذا لا يمنع من إدراجها ضمن صوره بل هي حقيقة بهذا، فإجابتها على ما أثارته الجملة المتقدمة عليها من سؤال خيالي تجعلها في مقدمة الصور التي يصدق عليها شبه كمال الاتصال. ذلك أنها حيت تأتي في الكلام تكون: " بمثابة الرمز الذي يحمل إلى الذهن سريعا الدلالة على أن الثانية تشتمل على الإجابة.."[(١)] وليس هذا فحسب، فهي تستنطق الذهن للتفكر في السؤال واستحضاره لربطه بالإجابة، وهي بهذا تعين للجواب للسؤال وتربطه به ربطا قويا، فهي منبهة على السؤال والجواب معا، ولا شك في أن في هذا التنبيه دعوة للتأمل، ودلالة على الرغبة في تحقيق هذا السؤال الخيالي حتى تتأمل النفس فيه وتستحضره بذاته، ثم تركب عليه هذه الإجابة، وفي هذا مزيد عناية بالسؤال والجواب معا.

ولهذا أرى أن يدرج ما جاءت فيه (إذًا) جوابا عن سؤال ملحوظ أثارته الجملة السابقة عليها ضمن صور شبه كمال الاتصال، وقد ذكر المفسرون أنفسهم ما يؤكد هذا وسوف أعرض له بصورة مفصله في مبحثه الخاص.

(١) النحو الوافي: عباس حسن (: دار المعارف الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة) : ٤/ ٣٠٨

المبحث الأول: بلاغة حرف الجواب (إذًا) الواقع في الإجابة عن الشرط المذكور.

إن من يطالع النظر في كتاب الله يلحظ أن (إذًا) تأتي مع الشرط والجواب مذكورين أو مع حذف الشرط، وليس الأمر في الحالتين سواء؛ أما بالنسبة لمجيء (إذًا) فيلحظ فيه أن الصلة بين الشرط والجواب ظاهرة والترتب واضح، ولهذا يتمركز دورها في زيادة الإيضاح والتقرير، ذلك أن وجودها مع التصريح بالأمرين بمنزلة التنبيه على الترتب مرة بعد مرة، فكأنه نبه عليه مرتين: مرة للعلاقة الطبيعية بين الشرط والجواب، ومرة للتعيين مع وجود القرائن الظاهرة التي تعين من غير معين، ودورها في هذا يشبه دور الفاء الواقعة في جواب الشرط من حيث دلالتها على التأكيد.

على أن وجه الحاجة للتأكيد معها في النظم الكريم ناتج عن مزيد من الترغيب في أمر عظيم تعرض عنه النفوس، أو في معرض أمر خطير يقتضي الحذر منه، فتأتي (إذًا) كجرس إنذار يؤكد على عظم هذا الخطر، وفي مثل هذا تشفع بوسائل أخرى تدعم هذا التأكيد؛ لتحقيق هذا الخطر في النفس حتى تصرف عنه.

هذا، وبتتبع ما جاءت عليه (إذًا) مع التصريح بالشرط في النظم الكريم يلحظ أنها جاءت في ثلاثة مواضع، وفيما يأتي بيان تفصيلي لهذا:

الموضع الأول: قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً وَإِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً.﴾ {النساء ٦٦- ٦٨} .

ذهب الزمخشري في تفسير (إذَا) وجملتها في الآية إلى أنها" جواب لسؤال مقدر، كأنه قيل: وماذا يكون لهم أيضاً بعد التثبيت، فقيل: وإذاً لو ثبتوا لَآتَيْناهُمْ لأن(إذاً) جواب وجزاء مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً.[١]

وقد أثار هذا جدلا كثيرا؛ لدخول واو الاستئناف على (إذًا)، إذ لو كانت جوابا عن سؤال مقدر لجاءت مفصولة بدون واو، وهذا ما جعل العلماء يحملون جملتها على أنها جواب للشرط السابق، معطوفة على جواب شرط متقدم، يقول الشهاب: " فعلى هذا هي جواب الشرط السابق مقرونا باللام، و(اذًا) مقحمة للدلالة على أنه مترتب على جوابه، وما فيه من التثبيت، وتقدير السؤال تحقيقا لذلك المعنى، وأيضا حاله كما حققه في الكشف، والا فلو كان جوابا بالسؤال مقدّر لم يكن لاقترانه بالواو وجه."[٢]

وقد أجاب على هذا الدكتور الخضري بأن هذا من عطف الاستئناف؛ لعدم تنزيل السؤال منزلة الواقع ، وذلك في قوله: "قد يكون الغرض من عطف الاستئناف الإشارة إلى أن السؤال مضمر في النفس لا ينزل منزلة الواقع، فيجمع بين الإشعار بالسؤال المقدر وإيهام عدم الالتفات إليه، ويتمادى المتكلم في حديثه عاطفا جملة الجواب على ما قبلها ويبدو السؤال المقدر، وكأنه حديث نفسي يجد شفاؤه في جملة الجواب ولا يقطع الكلام من أجله."[٣]

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري: ٥٣٠/١

(٢) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (دار النشر: دار صادر – بيروت) : ١٥٢/٣

(٣) الواو ومواقعها في النظم الكريم: د/ محمد الأمين الخضري (مكتبة وهبة . القاهرة . الطبعة: الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥) : ٢٥٩

رحم الله دكتور الخضري فقد كان دقيقا في توجيه الواو هنا، وقد ذكر (رحمه الله) أن الغرض من تجاهل السؤال هو " الإلماح إلى أنه من الوضوح بحيث لا يسأل ."[1] ، وأرى ـ والله أعلم ـ أن عطف الاستئناف هنا فيه مراعاة لواقع المنافقين، فقد رصدت الواو الداخلة على (إذًا) فتور تجاوبهم مع ترغيب الله لهم في الإخلاص وترك ما هم عليه، وأن قوله تعالى السابق: (لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً) لم يعمل في نفوسهم العمل الطبيعي عند أصحاب القلوب الحية، فلم يتدرجوا تدرج القرآن ولم يستثاروا بل كان وقع الجواب السابق وقعا عاديا، فجاءت (إذًا) مسبوقة بالواو مراعاة لغفلة المنافقين عن هذا الأمر، ومن ثم فإن مجيء الواو متناسب مع حال المنافقين، ويتضح هذا لو أنا نظرنا إلى الكلام بدون الواو، إن مجيء الكلام من غير الواو فيه إشارة إلى أن جواب الشرط السابق عمل في نفوسهم وشد انتباههم فراح يوسائلها عنه، وهذا ما يخالف الواقع، ولا يدفع هذا مجيء (إذًا) بعد الواو؛ لأن (إذًا) ناظرة إلى الترغيب واستمالة قلوب المنافقين إلى طاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومن ثم فقد جاءت بعد الواو لتطرد هذا الفتور الذي أومأت إليه الواو، لتحدث في نفوسهم شيئا من التفكر والنظر .

على أن حمل (إذًا) على أنها جواب شرط لقول الله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ) أمر لا غضاضة فيه، فقد مال إليه كثير من المفسرين، ولهذا نرى أن الطيبي يفصح بأنه هو الوجه ذهابا ومذهبا.[2]

---

(١) الواو ومواقعها في النظم الكريم: د/ محمد الأمين الخضري: ٢٦٠

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي :مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا (جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م) : ٥٣/٥

وتأتي بلاغة الربط بـ(إذًا) على هذا الوجه أنها منحت الجواب الثاني مزيد عناية وأظهرت قوة ارتباطه بالشرط، ولسائل أن يسأل لماذا جاءت (إذًا) مع الجواب الثاني، ولم تأت مع الأول؟ أرى أن الإجابة على هذا لها وجوه:

أن قوله تعالى: (وَإِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً) لو جاء معطوفا على سابقه ربما يتوهم أنه ليس على درجته في التحقق، فأكد هذا الارتباط بـ (إذًا)

أن النظم الشريف سلك في ترتب الجواب على الشرط مسلك الترقي فبعد أن أثبت أن فعل ما يوعظون به خير لهم مما اختاروه لأنفسهم، تدرج في الترغيب درجة، فجاء النفس من الناحية التي تستهويا، وهي الأجر والعطايا، وأدخل (إذًا) ليؤكد الارتباط بين الشرط والجواب؛ إشعارا بعظم هذا الجزاء، ليعطف قلوب المخاطبين إلى الطاعة، وهذا ظاهر في الإشارة إلى نوع هذا العطايا وجهتها، كما يشي بذلك ضمير العظمة في قوله: (من لدنا) إلى أنه من غرائب ما عنده من خوارق خوارق العادات، ونواقض نواقض المطردات،[١] ثم وصف الأجر بالعظيم لتعظيم الطاعة في قلوبهم.

الموضع الثاني: قال تعالى:

﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾{يونس ـ ١٠٦}

وجه الزمخشري (إذاً) في الآية على أنها "جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدّر، كأنّ سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان."[٢]

(١) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور: الإمام / برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى(دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الثانية / . ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٢ م): ٤٢٩/٢

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري: ٣٧٤/٢

وهذا كلام يفهم منه أن جملة جواب الشرط وجزاءه جاءت لتجيب عن سؤال مقدر، وهو تبعة عبادة الأوثان، وأن (إذاً) جاءت جزاء للشرط، ولا أرى استقامة هذا؛ لأن جملة: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ ﴾ لا يتولد منها ما ذكره الزمخشري كما سيأتي.

وحمل الكلام على أنه جواب سؤال مقدر وإن كان فيه إثارة وحفز؛ لأنه يدل على أن الكلام السابق حرك النفس للتفكر في الأمر والبحث عن الإجابة، فإنه لا يناسب المقام؛ لأن فيه إيحاء أن هذا ممكن الحدوث، وأن النهي حرك في نفس النبي، أو استشرف السامع، فحرك السؤال في النفس التي وقفت تتأمل الجواب.

وعلى هذا فحمل الكلام على الشرط وجوابه أوقع، ثم هو متناسب مع الترهيب من دعوة غير الله؛ ذلك أن ترتيب الجواب على الشرط مع دخول الفاء و(إذًا) فيه من قوة الارتباط ما يؤكد استحقاق الجواب بالنسبة للشرط، حيث اجتمع فيه وسيلتان من وسائل الربط، وذلك أن الفاء نبهت إلى أن العلاقة القائمة بين الشرط والجواب هي التسبب، وأنه إذا حصل هذا تسببت عنه هذه النتيجة، ثم جاءت (إذًا) لتضاعف من هذا الربط، ولتمنحه مزيدا من التأكيد.

وعلى هذا التوجيه أرى أن توجيه النهي إلى شخص النبي(صلى الله عليه وسلم) وإظهار هذا في صورة الشرط فيه دلالة على فظاعة هذا الأمر خاصة أنه جاء "تفصيلًا لما أُجمِلَ قبله في قوله تعالى:(وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) لإظهار كمال العنايةِ بالأمر[1]، ومن ثم اقتضى هذا التحذير مزيدا من الإعلام، فلم

(١) ينظر تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي (دار إحياء
التراث العربي – بيروت) : ١٨٠/٤

يكتف بالترتب الطبيعي بين الشرط والجواب، فجاءت الفاء لتؤكد على الارتباط، ولتحرك النفس بما فيها من معنى السببية إلى ربط الأسباب بمسبباتها، ثم جاءت (إنَّ) بما فيها من معنى التأكيد لتقوي من إبراز الجواب، وجاءت (إذَا) لتضاعف من الإعلام، ولتأكد على مزيد من الارتباط حتى يعمل لشرط والجزاء في النفس بصورة قوية تستلزم الانتهاء عنه، على أن القيمة الدلالية لـ (إذًا) هنا تظهر حينما ننظر إلى النص الشريف مجردا منها ، ذلك أن إظهارها في الكلام يقرر استحقاق الخبر وأن المخاطب جدير بهذا إذا هو حقق الشرط، فالفاء و(إذًا) بمثابة جرس إنذار يشير إلى خطر عظيم، ومن ثم استحق التنبيه والتأكيد عليه أكثر من مرة، صرفا للسامع عن هذا، وحثا له على سرعة الاستجابة.

الموضع الثالث: قال تعالى:

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ {الكهف ـ ٢٠}

(إذًا) هنا جواب وجزاء باعتبارين مختلفين الأول: أن تكون جملتها واقعة في جواب قوله تعالى: (إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) معطوفة على جوابين آخرين، والعطف في هذا حاصل على سبيل الترقي في إظهار الخطر، حيث ترقى من الرجم إلى الإعادة في ملتهم، ثم نفى الفلاح أبدا، وهذا لتعظيم الخطر في نفوس السامعين؛ حثا لهم على مزيد من التلطف، ولما كان هذا الأخير من الخطورة بدرجة تثير قلاقل النفس عين الارتباط بينه وبين الشرط، وأظهرت (إذًا) مع الأخير توكيدا لهذا الارتباط حتى يقر الأمر واضحا في النفس لخطورته، لأن هذا هو الخطر الأدهى الذي يقتضى التحذير الشديد بتعيين الإجابة بـ (إذًا).

الثاني: أن تكون (إذًا) جوابا وجزاء لشرط مقدر تقديره: ولن تفلحوا إذا أبدا أي: "إن دخلتم فيها حقيقة، ولو بالكره والإلجاء لن تفوزوا بخير لا في الدنيا

ولا في الآخرة"[1]، وعلى هذا فقد شغلت (إذًا) نفوسهم بهذا الجواب، ونبهت على الشرط المحذوف ودعتهم للتفكير فيما حذف للتأمل فيه بصحبة هذا الجواب، وفي هذا حث لهم على المبالغة في التلطف والتخفي حتى لا يشعر بهم أحد، ولعل هذا السبب هو الذي دعا إلى حذف الشرط هنا؛ لأن الحذف جعل كل واحد منهم يقدر ما يخافه في نفسه، ليربطه بالإجابة.

والفرق بين هذا وذاك أن الأخير حرك فيهم الخوف بشكل أكبر؛ لأن (إذًا) جاءت بعد الشرط وجوابه، ثم دعت إلى تقدير الشرط، وهو الرجوع في ملتهم للتحذير الشديد، أما الأول فمع جمعه بين هذه الثلاثة فإنه رتبه على الظهور عليهم، وليس الأول كالثاني في الكشف عن التحفظ الشديد عندهم.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي: تحقيق: علي عبد الباري عطية (دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ): ٨/٢٢٠

المبحث الثاني: بلاغة حرف الجواب (إذًا) الواقع في إطار الإجابة عن الشرط المحذوف

تختلف غاية (إذًا) مع ذكر الشرط عن غايتها مع حذفه، فغايتها مع الحذف تتوفر على إظهار الارتباط والإعلام بالجواب، ولا شك في أن في هذا مزيد عناية بإظهار الربط بين الأمرين، وقد سبق بيان هذا بالنسبة لغاية (إذًا) مع ذكر الشرط.

ولسائل أن يسأل إذا كان الربط محل عناية، فلماذا لم يصرح بالشرط وجوابه معا؟ أرى أن وراء هذا أسرارا قصد إليها النظم الشريف منها:

أن هذا له علاقة بنسق جملة الشرط هنا التي تأتي غالبا في أعقاب جملة تتضمن نفي فعل ما أو إنكاره؛ لتأتي بعد ذلك جملة الشرط؛ لتفرض حدوثه؛ لتصل بالنتيجة إلى إبراز خطره، أو إبراز الداعي إلى نفيه في بدأ الكلام، وهذا هو الغالب في نسق الشرط وجوابه مع (إذًا) .

ومن ثم فاستحضار (إذًا) الشرط؛ راجع إلى أنه لا يكون في الواقع، وإنما هو في الغالب من فرض المستحيل، ولهذا تأتي (إذًا) لتستحضره؛ لأنه لا وجود له في التصور، هذا بعض من الأسرار، وسيأتي مزيد من الكشف والبيان في تحليل الشواهد.

ومن أسرار إظهار (إذًا) وطي شرطها إيقاظ النفس لتعود أدراجها لفهم ما يدعو إلى النتيجة المذكورة؛ فإذا ما قدرت هذه النفس الشرط قوي فيها مطلوب الشرط والجواب.

على أن حذف الشرط مع إظهار (إذًا) له غايات أشير إجمالا إلى بعض منها:

أن في طي الشرط مسارعة إلى إظهار الجواب، وهذا له أسباب منها: إظهار خطورة ما نفي أولا، أو ما نهي عنه، أو مسارعة إلى إظهار عكس النتيجة المنفية لدحض منطق خصم، ومن الأسرار كذلك أن الحذف فيه إظهار

لعدم الرضا بوقوعه درجة تصل إلى كراهية النطق به؛ ليأتي الجواب بعد ذلك صريحا في رصد هذه الكراهية.

هذا، وبالنظر فيما جاءت فيه (إذًا) في النظم الكريم جوابا عن شرط محذوف يلحظ أن ذلك جاء في سبعة مواضع، وفيما يأتي بيان تفصيلي لهذه المواضع:

الموضع الأول:قوله تعالى:

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ {النساء . ٥٣}

(إذًا) في الآية الكريمة "جواب لجزاء مضمر كأنك قلت: ولئن كان لهم نصيب لا يؤتون الناس نقيرا إذا"(١). وهذا الموقع من مواقعها متفرد من غيره، فقد جاءت بعد أن قامت الفاء الفصيحة الداخلة عليها بالإفصاح عن شرط محذوف تقديره: "إذا جعل لهم نصيب من الملك"(٢)، وبعد أن ربطت ما بعدها بما قبلها، وأكدت هذا الارتباط، وهذا قريب من الدور التي تقوم به (إذًا)، وهو التنبيه والإعلام بما ترتب عليه وقوع الشرط المحذوف، ومعنى هذا أن الكلام هنا متوفر على إظهار الارتباط والإعلام المتكرر بالشرط والجواب، ولا شك في أن في هذا مزيد عناية اقتضاه وقوع هذه الجملة موقع الدليل على كلام سابق، ذلك أن حاصل معنى هذه الجملة مع ما قبلها: "إنهم لا نصيب لهم من الملك لعدم

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي: تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م): ٦٧/٢

(٢) إعراب القرآن وبيانه: : محيي الدين درويش (دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ): ١٣٦/٢

استحقاقهم له بل لاستحقاقهم حرمانه بسبب أنهم لو أوتوا نصيبا منه لما أعطوا الناس أقل قليل منه، ومن حق من أوتي الملك الإيتاء وهم ليسوا كذلك."[١]، ولما كان الكلام متوجها إلى إظهار هذا لأمر نجد أن النظم الكريم طوى الشرط ايماء لهذا المعنى.

ولعل هذا الإعلام المتكرر راجع إلى النتيجة العكسية المتمثلة في غرابة ترتب الشرط على الجواب الذي أظهرته الفاء الداخلة على الجواب، وذلك لما فيها من معنى السببية، حيث نبهت إلى أن منع أقل القليل مسبب عن العطاء، وهذا أمر لا يعهد، ومن حق من أوتي الملك الإيتاء وهم ليسوا كذلك، ومن ثم اقتضت هذه النتيجة المخالفة للواقع مزيدا من الإعلام، فجاءت الفاء، و(إذًا).

والفاء، و(إذًا) وإن كانتا متقاربتين في الدلالة فإن في كل واحدة منهما خصوصية؛ ساعدت في إظهار نكارة فعل اليهود وقبح صنيعهم، وهذا ظاهر في معنى السببية القائم في الفاء الذي يشعر بالتهكم من قبح فعلهم، ولذلك نجد أن الإمام الطيبي ربط بينها وبين" اللام في قوله: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا...﴾ [القصص: ٨]"[٢] وذلك لعدم المناسبة بين الفعل والنتيجة، والأمر كذلك في (إذًا) فإنها ضاعفت من الإعلام بالجواب، وأكدت على الارتباط بين الجواب والشرط، ونادت على هذا القبح، ومن ثم فقد زادت من الإنكار والتوبيخ.

على أن القبح والنكارة يظهران بصورة واضحة إذا "اعتبر الاستفهام داخلا على مجموع الجملة وجزائها معا."[٣] لأن هذا يجعل الإنكار المتحصل في الهمزة منصبا على مجموع الأمرين على معنى: ما كان ينبغي أن يكون لهم هذا

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي :٥٥/٣

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف):الطيبي: ٣١/٥

(٣) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور : ٤/ ١٥٧

النصيب ويعقبه البخل بأقل القليل[1]، وإن كنت أرى أن التوجيه الأول أقوى؛ لأن مسار الكلام متجه إلى إبراز عدم استحقاقهم الملك، في حين أن هذا التوجيه يجعل الملك حاصلا لهم.

الموضع الثاني، والثالث، والرابع: قال تعالى:

﴿ وَإِنْ كادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنا غَيْرَهُ وَإِذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَأَذَقْناكَ ضِعْفَ الْحَياةِ وَضِعْفَ الْمَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنا نَصِيرًا وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلًا ﴾ {الإسراء٧٣- ٧٦}

وهذا من الآيات التي توقف معها العلماء بحذر شديد مراعاة للجناب النبوي ذلك أن إساءة الفهم في هذا الجانب إساءة كبيرة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومراد هذه الآيات غير ظاهرها خاصة أنها جاءت على سبيل الفرض والتقدير، ومن ثم وجب أن تفهم بما يناسبها.

والجواب في الآيتين الأوليين نتيجة لموقف واحد عرض القرآن لأبعاده على جهة التدرج، حيث كشف أولا عن غاية الكافرين في إمالة الرسول (ﷺ) إليهم، ثم كشف ثانيا عما يترتب عليه حدوث ذلك منه عليه السلام، ببيان قوي يحمل في طياته تهديدا ولهجة شديدة، إظهارا لخطورة الأمر، إذ المعنى مع تقدير الشرط في الآيتين:" ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خَلِيلًا، ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي" [2]، ولو ركنت إليهم لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات.

(١) ينظر حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (دار صادر – بيروت) : ١٤٦/٣

(٢) لكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٦٨٤/٢

ويلحظ في هاتين الآيتين أن النظم الشريف طوى ذكر الشرط، وفي هذا مراعاة لمقام النبي(صلى الله عليه وسلم)، وإيماء إلى أن محتوى الشرط بعيد عن ذهنه، فلم يخطر بباله ما يريده المشركون منه، وفيه كذلك مسارعة إلى إبراز خطورة هذا الأمر، وقد اقتضى هذا أن يلفت الله نبيه (ﷺ)إليه وأن ينبهه عليه من خلال حرف الجواب (إذًا) حتى يستحضره النبي (ﷺ) ، وفي هذا دلالة أنه غاب عنه هذا، الأمر الذي يقتضي مزيدا من التنبيه بالجواب، فلم يقف الأمر على الاقتصار على الترتب الطبيعي بين الشرط والجواب بل جاءت (إذًا) لتقوي هذا الارتباط وتؤكده، ولتقرر الجواب قويا في نفس النبي(ﷺ)، وغاية هذا المناداة على خطورته، فـ (إذًا) هنا بمثابة صوت جهير ينادي على الخطر، ووراء هذا حفاوة من الله بنبيه(ﷺ)؛ لأن تعديد المخاطر وتعظيمها على هذا النحو، ثم انتفاء حدوثها لعصمة الله وتثبيته فيه حفاوة بالنبي، فكأن الله (سبحانه وتعالى) يريد أن يقول لنبيه: لو استمالك المشركون وركنت إليهم لحدث لك ما ذكر، فطب نفسا بتثبيت الله لك.

ومما يلحظ في جملة (إذًا) في الآيتين أن النظم الكريم جاء بـ (إذًا) في الآية الأولى معطوفة بالواو، وجاء بها في الثانية من غير عاطف، وسر العطف في الأولى أن الواو عطفت جملة الشرط على الجملة الاستئنافية قبلها؛ للتنبيه على أنهم حاولوا فتنته عليه السلام، وحاولوا كذلك اتخاذه خليلا، ومن ثم جاءت (إذًا) لتظهر هذه المناسبة ولتلفته (صلى الله عليه وسلم)إلى خبث الكافرين، يقول الطاهر: "عطفها بالواو دون الاقتصار على حرف الجزاء؛ لأنه باعتبار كونه من أحوالهم التي حاوروا النبيء(عليه الصلاة والسلام) فيها وألحوا عليه فناسب أن

يعطف على جملة أحوالهم. والتقدير: فلو صرفوك عن بعض ما أوحينا إليك لاتخذوك خليلا."[1]

وظاهر أن الأمر على خلاف هذا في الآية الثانية، فليست جملة (إذًا) من جملة أحوالهم، ولذلك جاءت جملة (لو) المقدرة مستأنفة دون عاطف يربطها بما قبلها، وفي ترك العطف هنا إيذان بالتباين الشديد بين ما ترتب على العصمة من امتناع الركون لحدوت التثبيت، وما يترتب على فرض المستحيل من الوقوع في الركون إلى الكافرين، ومن ثم ترك العطف لذلك.

أما بالنسبة لقول الله تعالى:

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ {الإسراء- ٧٦}

فالكلام فيه خارج مخرج الطمأنة للنبي (ﷺ)، وقد قامت (إذًا) بنشر هذه الطمأنينة من خلال استحضارها للشرط المحذوف وربطها به على وجه التأكيد، الذي دل على أن مدافعة الله عن نبيه لا تتخلف، ويلحظ أن (إذًا) جاءت معطوفة بالواو، والعطف هنا عطف جملة على أخرى على جهة الاستئناف، فأصل الكلام: (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا (ولو أخرجوك منها) وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا)، وغاية العطف هنا تسليط الضوء على عناية الله بنبيه باستحضار فعل الكافرين وفعل الله.

وفي سبيل تحقيق هذه الطمأنينة يلحظ أن البيان الشريف حذف الشرط، وهو: ولو أخرجوك منها... مسارعة إلى إبراز هذه العناية، وهذا من تأنيس الله لرسوله (ﷺ)؛ لأنه أظهر له الجواب في الوقت الذي طوى فيه الشرط وشغل الذهن عنه بهذا الجواب؛ دعوة منه تعالى لنبيه ليتأمل في كرم الله عليه، ولعل

(١) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور: ١٣٧/١٤

هذا إشارة منه تعالى إلى أن هذا لن يحدث، ومن ثم فإن الجواب على هذا النحو فيه صرف للذهن عن الاستغراق في التفكير فيه، فالغاية تقف عند الاستفزاز.

الموضع الخامس: قال تعالى:

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَٰهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ {الكهف ـ ١٤}

(إذًا) في الآية الكريمة منبهة على شرط مقدر، وجملتها جوابه، أي: لو دعونا إلهاً سواه (لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً) لما علم أنها تصحب الجواب، وإن لم تكن رابطة له بالشرط، ومن ثم فقد ألمحت هنا إلى ما طوي، وحركت النفس لتعود أدراجها إلى فهم العلاقة بين ما طوي، وما ذكر من جواب.

يقول صاحب الجدول في إعراب القرآن: "وجملة: «قلنا ... » لا محلّ لها جواب قسم مقدّر.. وجملة القسم المقدّرة جواب لشرط مقدّر عبّرت عنه (إذا) أي: إن دعوناه فو الله لقد قلنا شططا.[١]

ووقوع (إذا) في جملة القسم لا يعني هنا أنها جاءت لتجيب على القسم؛ لأنه لم يتقدم في جملة القسم نفسها ما يدعو للإجابة، فلا يعقل أن نقول: إن الجملة جاءت لتجيب عن قولهم: والله، وعلى هذا فجملة القسم ذاتها إجابة لكلام سابق محذوف كما قدره الزجاج، ودور (إذا) مع القسم تقرير نسبة الشطط للقول، وهذه مسألة مهمة، فقد تأتي (إذًا) جوابا وجزاء باعتبارين مختلفين كما سيأتي بيانه في قول الله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ﴾

(١) الجدول في إعراب القرآن:: محمود بن عبد الرحيم صافي (دار الرشيد مؤسسة الإيمان – دمشق الطبعة

: الرابعة ، ١٤١٨ هـ) : ١٥٠/١٥

{الحجر-٩} حيث أتت جوابا لكلام سابق، وجزاء لشرط مقدر متولد من جملة الجواب نفسها.

والمهم أن مجيء الإجابة على هذا النحو أظهر كراهية أصحاب الكهف الشديدة لما حذف، ومن ثم جاء الحذف راصدا لاستهجانهم هذا الأمر، فهم لم يطيقوا أن ينطقوا به، فاستفزوا إلى هذا الجواب الذي دل على يقينهم في أن ربهم رب السموات والأرض، على أن مجيء الجواب في صورة جملة القسم فيه دلالة على أن هذه الإجابة طردت الشرط عن مجرد إيراده على ألسنتهم، فلم ينطقوا به حتى على فرض المستحيل؛ ليقينهم أن هذا شطط .

وإنما أظهرت (إذًا) زيادة في تقرير إيمانهم بالله؛ لأنها دلت على أن هذا يقينهم وعلمهم وجوابهم؛ فأظهروا كل هذا جليا عن طريق (إذًا) التي أعلمت بالجواب ونبهت عليه، ويلحظ أنهم جاءوا بـ (إذًا) معترضة بين القول وصفة المصدر المحذوف وهذا الموقع متسق مع عقيدتهم لأنهم رفضوا النطق بالقول مرتين مرة مع الشرط المحذوف، ومرة حين حذفوا مقول القول.

والذي دعاهم للسكوت عن مقول القول هو الذي دعاهم لطي الشرط ، فغايتهم من الأمرين أن يؤكدوا على توحيدهم، وكأن مجيء (إذًا) معترضة دون إتمام مقول القول يشير إلى أن هذا القول في ضوء الإيمان الراسخ لا وزن له عندهم ، وهذا ما رصدته (إذًا) بموقعها المميز، والذي تشعر معه أنها قطعت الاسترسال في هذا الأمر، ونبهت على أن قوة الجواب في نفوسهم سيطر على الأمر فضحض القول وهذا ظاهر في تقرير نسبة الشطط إلى القول بصورة قوية.

الموضع السادس: قال تعالى:

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾

[العنكبوت: ٤٨]

ظاهر أن جملة (إذًا) في النظم الكريم مرتبطة بكلام سابق تولد من سابقه وجاءت هي للإجابة والتنبيه عليه، والكلام السابق ملحوظ من نفي حدث الكتابة والتلاوة تقديره: "لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة والخط لارتاب الْمُبْطِلُونَ."[١] ، وحذف الشرط هنا ناظر إلى الواقع، فليس ثمة كتابة ولا قراءة، وإنما الكلام على الفرض والتقدير كما يفرض المحال، وقد استدعت (إذًا) هذا المحذوف؛ لتؤكد ارتباط الشرط بالجواب، والتأكيد الذي أضفته (إذًا) على الكلام مراعى فيه حالهم الذي وصفوا فيه أنهم مبطلون؛ لما يقتضيه هذا الوصف من إغراقهم في الضلال، لأنه إذا كان الريب حاصلا لهم مع عدم قراءته وكتابته(صلى الله عليه وسلم) فكيف مع تحققهما؟ لا شك في أنهم سيرتابون أشد الريب، وقد راعى النظم الكريم هذا، فأظهر(إذًا)، ليؤكد الارتباط بين الشرط وجوابه.

وإنما سلك النظم نفي الشيء أولا، ثم اتبعه بفرض ضده في جملة الشرط والجواب؛ إظهارا لشدة ضلالهم، وأنهم لا وجه لارتيابهم، وذلك أن فرض المستحيل (القراءة والكتابة) بعد نفيه يشير إلى الجهة التي يمكن أن يكون للمبطل فيها وجه ارتياب، فإذا ثبت انتفاء القراءة والكتابة لزم انتفاء هذا الوهم.

الموضع السابع: قال تعالى:

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا."﴾ {الأحزاب ـ ١٦}

الخطاب في الآية الكريمة موجه إلى الجبناء المتقاعسين الذي خيل لهم نفع الفرار لهم من الموت، وقد واجههم القرآن في الآية بأمرين: الأول: أنهم في قبضة قادر لا يستطيعون الفكاك من قدره، الثاني: مجاراتهم في هذا بفرض

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري: ٤٥٨/٣

المستحيل وقوعه، والذي نبهت إليه (إذًا) لتربطه بالجواب ربطا مؤكدا، وقد قدره العلماء هنا بالشرط "وإن نفعكم الفرار مثلاً فمنعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا زماناً قليلاً" (١)، وظاهر أن الحذف هنا دال على الإغراق في انتفاء حدوثه، حيث أومأ الحذف إلى أن النفع شيء قليل لا يذكر، فناسب هذا حذفه من الكلام؛ لعدم الاعتداد به، وجاء الجواب ليسارع في إبراز هذه الحقيقة.

والمجاراة هنا من باب الترقي في إظهار عدم النفع؛ لأنها أثبتت أنه حتى مع فرض المستحيل متاع قليل لا بد أن يعقبه القدر، ومن ثم فهو غير نافع كذلك، وهذا يدل على أن فرض المستحيل من باب الإمعان في بيان عدم النفع.

وإظهار (إذًا) هنا متناسب مع هذه الحقيقة بما يحمله من تحقيق وتأكيد، ومراعى فيه كذلك غفلتهم عن هذا؛ لأنهم لما كانوا عامين عن هذا الحقيقة المرهونة بآجال احتاجوا إلى مزيد من التأكيد، فجاءت (إذًا) لتدعم ارتباط الشرط بالجزاء، وغايتها في هذا التأكيد والتقرير؛ لإظهار الأمر في نفوسهم بصورة قوية تؤيسهم من هذا الذي يتوهمون.

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري: ٣/٥٢٨- ٥٢٩

المبحث الثالث: بلاغة حرف الجواب (إذًا) الواقع في إجابة سؤال.

كثيرا ما تقع تأتي جملة (إذاً) في إطار الإجابة عن السؤال، وهي حين تقع هذا الموقع تفيد الدلالة على الجواب والجزاء، ولكن باعتبارات أخرى غير التي سبقت، أما كونها جوابا فهو راجع إلى السؤال المتقدم، وكونها جزاء فراجع إلى أن جملة الجواب نفسها جملة شرطية حذف شرطها، ومن ثم فجملة الجواب نفسها جزاء للشرط المحذوف، وهذا يعني أن وقوع (إذًا) في هذا الموقع فيه تكرير إعلام بالجواب مرة بعد مرة، وتأكيد على النتيجة بالنسبة للسؤال والشرط.

ووقوع (إذًا) في إطار الإجابة عن السؤال ليس على صورة واحدة، فقد تأتي مع التصريح بالسؤال والجواب، وحينئذ تنصب دلالتها على التعيين، لأن الربط بين الجواب والسؤال بـ (إذًا) مع وضوح الصلة وعدم خفائها، فيه زيادة إيضاح وتقرير للعناية بالأمرين، فكأنه نبه عليه مرتين: مرة للعلاقة الطبيعية بين السؤال والجواب، ومرة للتعين مع وجود القرائن الظاهرة التي تعين من غير معين.

وقد تأتي جملتها جوابا لسؤال محذوف، وحينئذ تنبه على ضرورة تحقيق هذا السؤال الخيالي حتى تتأمل النفس فيه وتستحضره بذاته، ثم تركب عليه هذه الإجابة، وفي هذا مزيد عناية بالسؤال والجواب معا .

على أنها حين تقع هذا الموقع الأخير تكون الصلة بينها وبين السؤال الذهني المتولد مما قبلها من قبيل شبه كمال الاتصال.

هذا، والمتأمل فيما جاءت عليه (إذًا) في النظم الكريم يلحظ أنها جاءت في أحد عشر موضعا، وفيما يأتي بيان تفصيليا لهذا المواضع:

الموضع الأول: قال تعالى:

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾{النساء ـ١٤٠}

كان المشركون يكفرون ويستهزئون بآيات الله، فنهى الله سبحانه المسلمين عن مجالستهم إن هم فعلوا هذا، ثم علل هذا النهي بالإعلام بما يترتب عليه، وذلك في قوله تعالى: (إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ)، وذلك بعد أن أثار النهي في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ سؤالا ذهنيا عن علة النهي، فجاءت هذه الجملة لتجيب عليه، ودلالاتها هنا لا تقتصر على الجواب، ففيها كذلك معنى الجزاء، لوقوعها جزاء لشرط محذوف، ومجموع الجملتين (الشرط والجزاء) جواب للسؤال المحذوف.

ويكمن دور (إذًا) هنا في أنها نبهت على سؤال مقدر متولد من النهي: ما علة هذا النهي؟ ثم جاءت لتجيب عنه على طريق شبه كمال الاتصال : وهي بهذا تعين الجواب للسؤال وتربطه به ربطا قويا، فهي منبهة على السؤال والجواب معا، وهذا الإظهار الصريح والذي هو عباره عن إجابة قوية لسؤال خيالي دعوة للنظر في الفعل وعاقبته، ولا شك في أن التنبيه على الجواب بعد إثارة النفس للإجابة عليه من شأنه أن يثير قلاقل النفس، وخاصة حينما تأتي (إذًا) في إجابة شاقة على النفس فيها جانب من التخويف والتحذير، مما يبعث النفس لمراجعة ما يقتضيه هذا الجواب القوي الذي يجعل مجرد توارد هذا السؤال هاجس يثير في النفس الخوف من النتيجة الصريحة.

ويكمن دور (إذا) كذلك في أنها نبهت على الشرط المحذوف وأعلمت به مع تأكيد الارتباط بينهما، ومن ثم فوجودها هنا بمنزلة الإعلام المتكرر بالنتيجة مع اختلاف ما ترتبت عليه، وأصل الكلام: إن قعدتم معهم ...، وقد طواه

النظم الكريم؛ مسارعة في إظهار خطورة فعل ما نهي عنه، حثا للمخاطبين على الإعراض عنه، وإظهارا لعدم الرضا بوقوعه، ومن ثم اكتفى النظم الكريم بجملة الجواب حتى يعيها السامع فلا يخطر له ببال مخالفة النهي، وفي سبيل تحقيق هذا سلك النظم الكريم في هذه الجملة التأكيد على استحقاق المماثلة للترهيب من النهي من خلال (إذًا)، والتي أظهرت الارتباط بشكل قوي بين ما نهي عنه، وما ترتب على فرض وقوعه.

إن التأكيد الذي تحمله (إذًا) يحمل في طياته تأكيد المشابهة بين المنافقين ومن جالسهم، وذلك لما تحمله من التأكيد لوقوعها بين متلازمين(السؤال والجواب ـ الشرط والجزاء) بينهما من الاتصال ما لا يحتاج إلى رابط، وكذلك من خلال وقوعها معترضة بين اسم إن وخبرها؛ لتقرير المشابهة، والتأكيد في كل هذا غايته تحقيق الجواب في نفوس المخاطبين بصورة قوية، وإعلامهم بأنهم عريقون في المماثلة، حثا لهم عن الإقلاع عن المنهي عنه.

الموضع الثاني، والثالث: قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ {المائدة ـ ١٠٦. ١٠٧}

جاءت (إذًا) هنا في معرض شهادة من ارتيب في شهادته على وصية الميت، حيث طلب الشرع من الحكام أن يحبسوهم ويستحلفوهم من بعد الصلاة،

فيحلفان كما قال تعالى: ﴿...لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ كما في الآية الأولى

وقد جاءت الجملة محل الشاهد في الآية الأولى في آخر الشهادة، وليست من كلام الشاهدين، وإنما هي من تلقين الحكام لهما من باب التذكير والتنبيه على عدم التغيير[1]، وتلك حال تستدعي مزيدا من الإعلام، ولهذا يلحظ أنهم أثاروا النفس وشدوا انتباهها بالنهي المتكرر في قول الله تعالى: ﴿...لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ حيث عمل هذا النهي على مساءلة النفس، وجعلها تقدر في الذهن سؤالا على طريق شبه كمال الاتصال، وتقدير السؤال كما ذكر صاحب الجدول: "ماذا سيكون من أمركم إن فعلتم؟"[2]، ثم جاءت بعد ذلك جملة (إذًا) لتدفع الشاهدين إلى التفكر في هذا السؤال مرة أخرى حتى يربطانه بجوابه، فكأنه نبه على السؤال مرة بعد مرة، وفي هذا مزيد عناية بالسؤال والجواب معا .

على أن العناية بالجواب تظهر كذلك في اشتمال جملة الجواب على شرط محذوف، وقد ضاعف هذا من الإعلام بالجواب ولفت إليه، لأن (إذًا) حركت في نفس الشاهدين تقدير الشرط؛ وأنشأت الارتباط بينهما على وجه التأكيد ، وهذا أيضا من الإعلام المتكرر، وغاية هذا أن يكون الشاهدان على بينة من أمرهما، ولأجل هذه الغاية طوي الشرط أيضا؛ وتقدير الشرط: إن كتمنا الشهادة إنا (إذًا) لمن الآثمين، وتقديره هنا يعد دعوة للتذكر والوقوف مع النفس؛ لأن الشاهدين لا ينطقان به، وإنما يقدرانه في نفسهما، ولا شك في أن هذا من شأنه أن يلامس

(١) ينظر نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور: الإمام /البقاعي :٢/ ٨٧٢

(٢)الجدول في إعراب القرآن الكريم: محمود بن عبد الرحيم صافي: ٤٧/٧

الحقيقة المستكنة بداخلهما، ومن ثم فالطي هنا أقوى من التصريح في التنبيه والإعلام والتذكير.

وعلى غرار هذا الأمر جاءت (إذًا) في الآية الثانية؛ لتناسب شهادة من عثر على أنهما استحقا إثما؛ رغبة في إظهار الحق على وجهه، ومن هنا سوى النظم بين ختام الشهادة في جواب الشرط بالإعلام والتنبيه، وفي هذا كما يقول الطاهر:" ذلك زيادة وازع."(١)

إن مجيء (إذًا) في الآيتين يدعو الشاهدين إلى مراجعة النفس والوقوف معها؛ لأن التصريح بها دون ذكر ما ترتبت عليه يدعو النفس لتعود أدراجها؛ لتفكر في الأمر مليا، فإذا ما قدرت هذه النفس السؤال أولا، ثم عادت لتقدر الشرط المحذوف لتربطه بعد ذلك بجزائه، وهو: إن اعتدينا إنا (إذًا) لظالمين، كان ذلك دافعا على الإتيان بالشهادة على وجهها.

الموضع الرابع: قال تعالى:

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ.﴾ {الأنعام ـ ٥٦}

الآية من المواطن التي يتأكد فيها وجوب وجود (إذًا)؛ دفعا لتوهم غير المراد؛ ذلك أن حذفها من الكلام يوهم أن نبي الله(صلى الله عليه وسلم) ينسب الضلال لنفسه، ومن ثم فقد دل وجودها على أن في الكلام حذفا، وهو هنا حاصل باعتبارين مختلفين: الأول أن جملة (إذًا) نبهت على السؤال المتولد من قول الله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وكأن سائلا سأل عن علة هذا، فجاء قوله: ﴿قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ.﴾

(١) التحرير والتنوير : الطاهر بن عاشور: ٢٥٢/٥

ودور (إذًا) في هذا أنها ربطت هذه الإجابة بالسؤال الذهني وزادت من تحقيقهما في النفس.

الاعتبار الثاني: أن (إذًا) جزاء لشرط محذوف، وتقدير هذا الحذف : إن اتبعت أهواءكم قد ضللت (إذًا) وما أنا من المهتدين، ودور(إذًا) هنا أنها أعلمت بالشرط المحذوف، وقوت الارتباط بين الشرط والجزاء، وإنما قصد النظم الشريف إلى هذا الإعلام المتكرر؛ لأن الآية الشريفة جاءت في معرض تبرؤ النبي (صلى الله عليه وسلم) من أعدائه بإعلان براءته من الشرك، حيث أعلن (صلى الله عليه وسلم) أنه صرف ومنع بالأدلة الظاهرة عن عبادة غير الله، فاقتضى هذا مزيدا من التنبيه والإثارة، حيث طرقت (إذا)النفس وشدت انتباها لتسمع من يعود إلى نفسه فيسألها الإجابة مرة بعد مرة.

وإذا كان حذف السؤال حرك النفوس للوقوف عليه فإن حذف الشرط جاء متسقا مع كراهية النبي (صلى الله عليه وسلم) الشديدة لهذا الأمر، ففي حذفه ؛ إعراض عنه، ورفض له؛ ولهذا لم ينطق به عليه السلام.

ولا شك في أن وراء هذا الإعلام المتكرر رغبة قوية في قطع أطماع الذين يدعون من دون الله في متابعة النبي (ﷺ) ، وإعلاما بأنه لا يقدم عليه، ولاحظ في هذا التأكيد في جواب الشرط، حيث قدم الجواب مؤكدا بقد على (إذًا) للاهتمام بالجواب[1]،﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً ﴾ثم أكده (ﷺ) مرة أخرى، فنفي ضده على طريق عطف تفسير ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ.﴾ ، وجاء بالمعطوف جملة اسمية زيادة في تيئيسهم من هذا الذي تمنته أنفسهم.

إن إظهار (إذًا) في النص الشريف بمثابة صوت جهير ينادي على اقتناع النبي التام ورفضه القاطع لهذا الأمر، وهذا راجع إلى موقعها من الكلام السابق،

(١) ينظر التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور: ١٢٨/٦

فقد عاد (ﷺ) بعد أن أعلن نفيه الاتباع ليبين سبب هذا، فجاء بجملة الجواب، وفيها (إذًا) التي تدل على ظهور النتيجة بالنسبة لسببها كونها مرتبطة بها على نحو مؤكد، ليستحضر ما أرادوه منه، وهو الشرط المحذوف ليرميه بعد ذلك بالضلال على نحو قوي مؤكد، يدل على أنفته من هذا الأمر الذي بلغ حدا جعله ينسب الضلال إلى نفسه إن هو فعل هذا، فهو يأنف من هذا الأمر، أنفته من نسبة الضلال لنفسه، وهذا الكلام منه (صلى الله عليه وسلم)كناية عن أنه لا يفعل هذا، وهو في الوقت نفسه تعريض بهم؛ لأنه لما نسب نفسه إلى الضلال إن هو اتبع أهواءهم كان ذلك رميا ضمنيا لهم بالضلال.

الموضع الخامس: قال تعالى:

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ {هود ـ ٣١}

سبق الحديث عن مثل هذا في الآية السابقة: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ.﴾ {الأنعام ـ ٥٦}.

والملاحظ فيما جاء على هذا أنه يقتضي وجود (إذًا)؛ دفعا لتوهم غير المراد من نسبة أنبياء الله الظلم أو الضلال لأنفسهم؛ ومن ثم فوجودها يدل على أنها مرتبطة بمتقدم مذكور أو ملحوظ، وهو هنا من قبيل الملحوظ تقديره: لماذا لا تقول...؟ فجاء الجواب بعد تقدير الشرط: لو قلت كما تقولون عن الذين تزدري أعينكم: لن يؤتيهم الله خيرا إني إذا لمن الظالمين، "ويجوز أن يكون إذا

قلت شيئا مما ذكر: من حيازة الخزائن، وادعاء علم الغيب والملكية، ونفي إيتاء الله (تعالى) أولئك الخير."[١]

وسواء حملنا الكلام على هذا أو سابقه، فإظهار النتيجة والإعلام بها وربطها بجوابها فيه دعوة للنظر في سبب النفي من جانب نبي الله، وفيه كذلك دلالة على أن الشرط مما يأنف منه؛ لما يتسبب عنه من وصف كريه على النفس وهو الظلم، ولهذا طوي نبي الله نوح (عليه السلام) ذكر الشرط في هذا امتعاضا من ذكره، وتحاشيا عن النطق به، ووجود (إذًا) على هذا فيه دلاله على ثبوت هذه الإجابة، وهذا الترتب يقينا في نفس نبي الله نوح(عليه السلام)، الأمر الذي يلزم عنه أنه لن يفعل هذا لظهور العاقبة التي يأنف منها، ففي تحقيق الجواب بـ (إذًا) أمران: الأول: نفي نوح (عليه السلام) الفعل عن نفسه على طريق الكناية، لأنه إذا ثبت إدانته لهذا بإظهار يقينه وعلمه كما تلمح إلى ذلك (إذًا)، وبوصفه بما يأنف الإنسان منه، وهو الظلم كان الاقتراب من مثل هذا بفعل ما يترتب عليه تحقق حدوثه منتفيا على وجه المبالغة، فيلزم منه أنه لن يفعل، وفي هذا رد لطلبهم الذي طلبوه في قول الله تعالى: ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ بصورة قوية، الثاني: إثبات الظلم لمن يفعل هذا، وفي هذا "تعريضٌ بأنهم ظالمون في ازدرائهم."[٢]

الموضع السادس: قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً﴾ {الكهف ـ ٥٧}

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي: ٦/٢٤٤

(٢)إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود:٤/٢٠٤

ذكر الزمخشري في (إذًا) في النظم الكريم أنها جواب وجزاء، وقد جعل كونها جوابا راجعا إلى أنها جاءت جوابا لسؤال مقدر تردد في نفس النبي(ﷺ) لما أعلم بقوله تعالى: ﴿... إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا...﴾ وكأنه قال: لم لا أدعهم؟ فجاء الجواب مشتملا على الشرط والجواب[1]، وكونها جزاء فهذا بالنسبة للشرط المذكور، وعلى هذا تشبه أن تكون مكررة نظرا لتعدد الربط بين الجواب والسؤال، والشرط والجزاء، ومن ثم فالإعلام بالنتيجة وربطها بالكلام السابق مضاعف، خاصة إذا ضفنا إلى ذلك الربط بالفاء بين الشرط والجزاء، وكل هذا يقوي من الغاية، وهي صرف النبي(صلى الله عليه وسلم) عن الطمع في إيمانهم، وإنما اقتضى الكلام الربط المتكرر بـ (إذًا) وغيرها الحرص الشديد من النبي (صلى الله عليه وسلم) على هدايتهم، وفي المقابل هذا الضلال الغريب الذي عليه القوم، والذي أظهرته الفاء الواقعة في جواب الشرط لما فيها من معنى السببية، حيث دلت على انتكاس فطرتهم؛ لأنهم "جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه"[2]، وكأن دعوة النبي (ﷺ) صارت حافزا لهم على الضلال، وهذا من تعكيس الكلام، وقد سبق التعرض له عند قول الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ والمهم أن هذا الحال الغريب، مع الحرص الشديد استدعى (إذًا) على هذا النحو المتكرر ـ كما سبق ـ للمبالغة في إظهار تأكد الجواب بالنسبة للسؤال، وكذلك الجزاء بالنسبة للشرط، وغاية التأكيد كف النبي (صلى الله عليه وسلم) عن فعل ما نهي عنه، وكأنه يقول: لا تدعو فقد بلغوا في الضلال حدا لا يشفع معه دعوة ، وكذلك مراعاة غرابة الجواب بالنسبة للشرط، ومن ثم أظهرت (إذًا)

(١) ينظر لكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري: ٢/٧٣٠

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي: ٨/٢٨٦

لتتعاون مع الفاء في تحقيق الارتباط بين الشرط والجواب، لتحقيق الأمر بصورة قوية في نفس النبي (ﷺ).

الموضع :السابع: قال تعالى:

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ {الشعراء ـ ٤٢}

أحدث ما أراه موسى (عليه السلام) لفرعون من آيات بينات زلزلة عظيمة أرهبت فرعون، وقد كان اقتراح الملأ ببعث السحرة طوق نجاة استحسنه فرعون، فلم يتوان في الوعد بالجائزة، والتأكيد على مكانتهم في نفسه، حيث أجاب السحرة فور سؤالهم ﴿... أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ {الشعراء ـ٤١} بما جاء في القرآن: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾

والإجابة على هذا النحو تعكس الحال الذي عليه فرعون من الفزع، فقد كان كافيا أن يقول: نعم، إجابة لسؤال السحرة، ولكنه زادهم على ما طلبوا، سالكا في هذا الترقي في الترغيب، فعين إجابة أخرى بحرف جواب آخر، وهو (إذًا)، وقصده في هذا أن يضاعف من همتهم وناشطهم؛ زيادة في الحث على الغلبة.

إن تعبير فرعون في الجواب الثاني بـ (إذًا) وراءه رغبة قوية عكسها هذا الحرف؛ الذي جاء ليبعث في نفس السحرة دوافع أخرى للغلبة بما يحمله من دلالة التأكيد؛ الناتجة عن وقوع جملة (إذًا) جزاء لشرط مقدر، فقد نادت (إذًا) على الشرط المحذوف ونبهت عليه لتربطه بجوابه، وأصل الكلام: إن كنتم غالبين إنكم (إذًا) لمن المقربين

لقد كان استخدام (إذًا) هنا بمنزلة الحافز الذي قضى به فرعون على التوجس والثقة الهشة التي أومأ إليها استفهامهم: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا...﴾، وفي الوقت نفسه أمدت السحرة بالحافز بما فيها من تأكيد انعكس أثره في نفوسهم.

الموضع الثامن: قال تعالى:

﴿إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [يس:٢٤]

وهو قريب من قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ {الكهف ـ ١٤}

فمنطق أصحاب الكهف هو منطق حبيب النجار في رفض اتخاذ آلهة من دون الله، ويلحظ أن نسق الآية نسق كثير من آيات هذا المبحث، فقد سبقت جملة (إذًا) بالاستفهام الخارج مخرج الإنكار﴿ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنْقِذُونِ﴾ [يس ـ٢٣] ، ثم جاءت جملة الجواب بعدها، وهي الآية محل الشاهد، والتي جاءت فيها (إذًا) لتربط الجملة بالاستفهام، وفيها شرط محذوف استحضرته(إذًا) وربطته بعد ذلك بالجزاء، و(إذًا) هنا بمثابة الرمز الذي يشير إلى كل هذا، وتقدير الشرط هنا : إن فعلت هذا إني (إذً) لفي ضلال مبين، وقد استدعت (إذًا) هذا المحذوف جامعة بينه وبين الجزاء، إعلانا بالرفض القاطع لما سبق إنكاره في الاستفهام على طريق الكناية؛ لأنه إذا أخبر أنه إن فعل هذا في ضلال مبين على جهة اليقين، كما أومأت (إذًا) لزم منه عدم فعله.

ودور (إذًا) في هذا لا يقف عند حدود الإعلام بجواب الاستفهام، وإنما هو يكشف عن حديث للنفس لا يرضيها، استدعى طي المحذوف؛ مسارعة إلى الجواب والإعلام به، ولا شك في أن الحذف هنا ناظر إلى الكراهية الشديدة لهذا الأمر والامتعاض الشديد من النطق به، ولاحظ في هذا وقوع (إذًا)بين اسم إن وخبرها لتقرير النسبة؛ مبالغة في رفض هذا.

الموضع التاسع: قال تعالى:

﴿تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾ {النجم ـ ٢٢}

الآية الكريمة جواب الاستفهام الإنكاري قبله[١] في قوله تعالى:﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ وفي الوقت نفسه جزاء لشرط مقدر نبهت عليه (إذًا)، وأصل الكلام: إذا جعلتم له البنات ولكم البنين تلك إذا قسمة ضيزى، أما بالنسبة لكونها جوابا للاستفهام فهذا على اعتبار الجملة كاملة الشرط والجواب، وأما كونها جزاء للشرط فهذا بالنسبة للشرط المحذوف كما سبق تقديره.

وعلى هذا فغاية (إذًا) في هذا منصبة على الإعلام بجواب الاستفهام أولا والتنبيه عليه، واستحضار الشرط المحذوف لتعيين ارتباط بجوابه، وربطه به على وجه التأكيد ثانيا، وهذا من الإعلام المتكرر.

وغاية الكلام مع (إذًا) وما قبلها من الشرط المحذوف التدليل على شدة جور الكافرين وظلمهم، حيث جاءت (إذًا) لتستحضر وتفرض جدلا أن له أولادا كما يقولون؛ ليصل من خلال الجواب إلى إظهار سفههم وضلالهم، لأنه دل على أنه مع فرض باطلهم جائرون ظالمون، حيث اختاروا له تعالى ما كرهوه لأنفسهم، وهو الأنثى، وهذا دال على قبح فعلهم وخروجه في كل الأحوال إلى الظلم والضلال يقول ابن عرفة: "فقبح عليهم نسبتهم الأولاد إلى الله، ثم على فرض تسليم ذلك جدلا، فإنما حقهم كان أن ينسبوا إليه الأشرف لَا الأدنى "[٢]

(١) ينظر التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور: ١١١/٢٧

(٢) تفسير ابن عرفة: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله تحقيق: جلال الأسيوطي (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م) ٩٥/٤ :

ووجه إظهار (إذًا) هنا أن هذا الفعل لما بلغ في الجور مبلغا فاق الوصف، كما تدل على ذلك كلمة (ضيزى) جاءت (إذًا) لتنادي على هذا الجور، ولتؤكد على استحقاق هذا الوصف.

الموضع العاشر: قال تعالى:

﴿فَقَالُوا أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر ـ ٢٤]

(إذًا) في قول الكافرين:(إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ) على غرار آية النجم السابقة حيث ربطت الشرط المحذوف وجوابه بالاستفهام أولا، ثم ربطت الشرط المحذوف بجزائه ثانيا إعلاما بالجواب مرة بعد مرة، وتأكيدا على النتيجة بالنسبة للاستفهام والشرط.

والشرط المحذوف هنا تقديره: لو اتبعنا صالحا إنا إذا لفي ضلال وسعر، وحذف الشرط هنا ناظر إلى امتعاضهم من هذا الذي أنكروه، فلم ينطقوا به كراهية له، وفيه مسارعة إلى التعليل، ثم هو يعكس موقفهم من عدم الالتفات إلى دعوة صالح (عليه السلام)، فقد أعرضوا عن ذكر الشرط مع إخراجهم له مخرج الشيء المستحيل الوقوع.

وإذا كان حذف الشرط ينبئ عما اختلج في نفوسهم فإن جملة الجواب صريحة في أنفتهم من اتباع صالح (عليه السلام)، حيث نسبوا الضلال لأنفسهم، ثم زادوا على هذا، فعدوه ضربا من الجنون بعطف سعر على ضلال، وضاعفوا هذا الشعور فجاءوا بـ (ضَلالٍ وَسُعُرٍ) منكرين؛ للإشعار بأنهما بلغا في النكارة حدا لا يوصف، ثم أدخلوا عليهما حرف الظرفية (في)، وفيه ما فيه من الدلالة على تمكن هذين الوصفين منهم، وانغماسهم فيهما، ثم قرروا بإيقاع (إذًا) بين اسم إن وخبرها نسبة الضلال والسعر لهم إذا تحقق الشرط.

ويلحظ أن التأكيد الذي أفادته (إذًا) هو في الحقيقة انعكاس للرفض القاطع لدعوة صالح(عليه السلام) وقوته في نفوسهم، وقد يكون التأكيد الذي أفادته (إذًا)

و(إنَّا) قبلها، ناظرا إلى أن كلامهم خرج مخرج التعكيس لكلام صالح (عليه السلام) يقول البيضاوي:" عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم إياه ما رتبه على ترك اتباعهم له"[1] ومن ثم احتاجوا أن يؤكدوا كلامهم فجاءوا بـ (إذًا) لتأكيد ارتباط الشرط بجوابه؛ دفعا لكلام صالح (عليه السلام)، وإظهارا للثقة واليقين في موقفهم من دعوته.

الموضع الحادي عشر: قال تعالى:

﴿قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾{النازعات ـ ١٢}

الكلام في (إذًا) وجملتها امتداد لجملة الإنكارات التي نطق بها الكافرون، وتعالى صداها في قولهم الذي حكاه القرآن ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات:١٠]، وموقع (إذًا) بالنسبة لسابقة موقع الجواب، فقد أجابوا أنفسهم بعدما سألوها أكثر من مرة بهذه الاستفهامات المتتالية التي خرجت مخرج الإنكار ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾، وجملة الجواب هنا ليست مقصورة على ما ذكر، وإنما هي متضمنة لشرط محذوف وقعت (إذًا) منها موقع الجزاء، وتقدير جواب الاستفهام على هذا: إذا صحت تلك الرجعة فنحن خاسرون لتكذيبنا.

وغاية الكلام مع إبراز (إذًا) إظهار حصول شدة الخسارة، والتأكيد على ارتباط الجزاء بالشرط، وهي غاية قد تبدو متعارضة مع الإنكار السابق في الاستفهام؛ لأن تأكد الخسارة لديهم يقتضي ألا يقع منهم هذا الإنكار الحاصل في الاستفهام.

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي (دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ) : ١٦٦/٥

وقد أجاب العلماء على هذا: بأن التأكيد من قبيل الاستهزاء والسخرية، يقول الألوسي:" أي قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين إلى ما أنكروه من الرد في الحافرة مشعرين بغاية بعده عن الوقوع: تلك إذا كرة خاسرة، أي: ذات خسر أو خاسر أصحابها، أي: إذا صحت تلك الرجعة فنحن خاسرون لتكذيبنا بها، وأبرزوا ما قطعوا بانتفائه واستحالته في صورة ما يغلب على الظن وقوعه لمزيد الاستهزاء."(١)

وكلام جل المفسرين في بيان مصدر السخرية والاستهزاء راجع إلى أنهم "أبرزوا ما قطعوا بانتفائه واستحالته في صورة المشكوك المحتمل للوقوع."(٢) ذلك أن الانكار التام المتولد من الاستفهام السابق يأبى حصول هذا على وجه الحقيقة، فهم لم يقولوا هذا فرض احتمال ممكن أن يحدث، وإنما هو استهزاء، ويؤيد هذا أنهم لم ينطقوا بالشرط بل طووه واكتفوا بـ (إذًا) لتنبه عليه ولتربطه بالجزاء، وحاصل المعنى في هذا "إن صحت فنحن إذاً خاسرون لتكذيبنا بها"(٣). وكذلك استحضارهم البعث بتلك التي تشير إلى البعد، فقد نزلوا بعد حصول البعث بعد المسافة فأشاروا إليه بتلك التي للبعيد.

ولا أرجح رأي من قال: إن الكلام من باب السخرية، وإنما لأمر كما ذكر البقاعي: "أي إذ نرد إلى حياتنا الأولى لا شيء لنا كما ولدنا لا شيء لنا ، ونفقد كل ما سعينا في تحصيله وجمعه وتأثيله (كرة): أي رجعة وإعادة وعطفة (خاسرة) أي: هي لشدة خسارتنا فيها بما فقدنا مما حصلناه من الحال والمآل

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي: ٢٢٩/١٥

(٢) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي: شهاب الدين الخفاجي: ٣١٣/٨

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري: ٦٩٤/٤

وصالح الخلال ، عريقة في الخسارة حتى كأنها هي الخاسرة ، ولعله عبر بالماضي لأنهم ما سمحوا بهذا القول إلا مرة من الدهر."[1]

وكلام البقاعي معناه أنهم نطقوا بهذا القول على جهة الاستعظام لغرابة حدوثه، وفيه شبه تعقل منهم كفته هذه العواقب، فزادتهم استعظاما ورفضا له، ولهذا لم يتكرر منهم هذا القول، كما هو ظاهر في التعبير بالماضي بخلاف قولهم: ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾.

وقد ناسب هذه الدرجة من الاستعظام استحضار (إذًا) كون هذه الخسارة هي الخسارة التي لا خسران بعدها.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي: ٨/٤٧٠

المبحث الرابع: بلاغة حرف الجواب (إذًا)الواقع في إجابة قول أو محاور.

دور (إذًا) في هذا الموقع قريب من مواقعها الأخرى، حيث جاءت لتلفت إلى العلاقة بين الأقوال من ناحية، وتأكد على قوة ووكادة الجواب بالنسبة للكلام السابق من ناحية أخرى، ووجه الحاجة إلى التأكيد في هذا راجع إلى عدة أمور أهمها:

أن جملة الجواب تضمنت رفضا قويا وإنكارا ضمنيا، الأمر الذي اقتضى مزيدا من الإعلام والتأكيد، ونتيجة لهذا يلحظ أن النظم الكريم يعرض في جملة الجواب عن ذكر الشرط ويكتفي بالجزاء لعدة أمور أهمها:

الدلالة على عدم الرضا بوقوعه شدة ظهور الأمر مع تعامي من جاء الكلام للرد عليه، الأمر الذي يقتضى إظهار (إذًا)؛ لأنه لما كانت النتيجة غائبة عن تصوره احتاج هذا مزيدا من الإعلام بهذه النتيجة دفع توهم من يعتقد صدور خطأ من المخاطب، فتأتي (إذًا) في كلام المخاطب دافعة لهذا الوهم، دالة على يقين المخاطب فيما يقول، وصدق لهجته فيما ينطق به.

وقد جاءت (إذًا) في هذا الموقع دالة على الجواب والجزاء في تسعة مواضع منها، وفيما يأتي بيان تفصيلي لهذه المواضع:

الموضع الأول، والثاني: قال تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ﴾ {الأعراف ـ ٩٠}

تكرر نظم الجواب في الآية في ثلاث آيات من الذكر الحكيم مع اختلاف القائلين، وذلك في قوله تعالى:

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ {يوسف ـ١٤ }

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾ {المؤمنون ـ ٣٤}

وقد جاءت (إذا) في الآية الأولى لتجيب على من حاورهم المتكلمون من قومهم: ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَـئِنِ اتَّبَعْـتُمْ شُـعَيْباً﴾ حيث وقعت جملة (إذًا) من القول المتضمن القسم موقع الجواب، فهي هنا إجابة لهم في صورة جواب القسم، والتقدير: والله إن اتبعتم شعيبا... ـ ودور (إذًا) في هذا أنها لفتت إلى تسبب جواب (إذًا) عن القسم قبلها، أي لئن اتبعتم شعيبا لكان اتباعه سببا في خسرانكم، كما أنها زادت الارتباط بين القسم وجوابه ومنحته مزيدا من التأكيد.

وقد ذهب الزمخشري وتابعه آخرون بالقول بأن جملة الجواب سادة مسد جواب الشرط والقسم، تعليلا لوجود (إذًا) في الكلام[١]، واضطر بعضهم إلى القول بأن (إذًا) مقحمة "في جواب القسم لما في جواب القسم من مشابهة الجزاء لا سيما متى اقترن القسم بحرف شرط."[٢]

وقد انتقد أبو حيان كل هذا في قوله: " فإن عنى الزمخشري بقوله ساد مسد الجوابين إنه اجتزئ به عن ذكر جواب الشرط فهو قريب، وإن عنى به أنه من حيث الصناعة النحوية فليس كما زعم؛ لأن الجملة يمتنع أن تكون لا موضع لها من الإعراب وأن يكون لها موضع من الإعراب، (وإذا) هنا معناها التوكيد وهي الحرف الذي هو جواب ويكون معه الجزاء، وقد لا يكون ."[٣]

(١) ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري: ١٣١/٢، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢٥١/٣

(٢) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور: ١٨/ ٤٤

(٣)البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي تحقيق: صدقي محمد جميل (دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ) : ١١٥/٥

وعلى هذا فـ (إذًا) لا مجال لدلالتها على الجزاء، ودلالتها على الجواب راجع إلى أنها جواب لمن حاورهم الملأ، ووقوعها في جواب القسم غايته تأكيد الارتباط.

والملاحظ أن الآيات الثلاث تعكس رغبة قوية من المتحدث في إقناع المخاطب بباطلهم، وهذا ما دعا إلى القسم وسيلة لبث دلائل التصديق في نفس المخاطب؛ لما يحمله من توكيد يملأ قلب المخاطب تصديقا بما يقال، وإقبالا على فعل ما يطلب، ولهذا فقد حرص المتحدثون على الإعلام بالجواب بصورة مميزة، فلم يكتفوا بالارتباط بين القول وجوابه بل جاءوا بهما في صورة القسم والجواب، ثم زادوا الارتباط، فجاءوا بـ(إذًا) لتجذر للارتباط بينه وبين القسم، ولتشير بقوة إلى النتيجة التي تترتب على الاتباع ، وفي هذا مزيد حث لهم على ترك الاتباع وتحذير لهم منه، وحتى يعمل هذا التحذير في نفوسهم، جاءت(إذًا) متوسطة بين الاسم والخبر؛ لتقرير نسبة الخسارة لهم، ثم إنهم كثفوا من عناصر التوكيد في الجواب، فجاءوا به جملة اسمية مصدر بـ (إنَّ) لإفادة ثبوته ولصوقه بهم إذا هم لم يستجيبوا لكلامهم.

ففي الآية الأولى نجد أن (إذًا) جاءت لتؤكد على الخسارة، وكأنها تنادي على ظهور الخسارة إن هم اتبعوا شعيبا، فإظهار (إذًا) على هذا فيه إعلام لهم بالجواب بصورة قوية، لتنفيرهم من شعيب، وقد كان هذا بعد أن أحسوا بصدى دعوة شعيب في قومهم، فاستدعى هذا أن يأتي القول في صورة القسم، فأقسموا على ما يقولون؛ ليبرزوا صدقهم، وربطوا بين القسم وجوابه من خلال (إذًا) لينادوا على الخسران الذي أطلقوه عن التقييد ليفيدوا عمومه.

وعلى النحو من هذا جاءت آية المؤمنون:﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ {المؤمنون ـ ٣٤}

فقد جاءت إجابة لمقول القول المتضمن لقسم محذوف دلت عليه اللام، وهو قوله تعالى:(وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ) المعطوف على نظيره:(مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ) ويلحظ أن الزمخشري ذكر أن حرف الجواب (إذاً) " واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم"[1] ولا أرى ما ذهب إليه العلامة الزمخشري من كون (إذًا) للشرط؛ لأن جواب الشرط محذوف، ولا وجه لاجتماع ما له محل من الإعراب مع ما ليس له محل، وعلى هذا فموقع جملة (إذًا) من هذا القول موقع الإجابة، وهذا نفس موقعها في الآية السابقة، ولهذا يلحظ أن الغاية متقاربة، فقد كان إظهار النتيجة، وتوثيق ارتباطها بالقسم، وإطلاق الخسارة وتعميمها أحد الوسائل التي استخدمها الكافرون لصرف المخاطبين عن نبي الله هود.

والفرق بين الآيتين أن (إذً) جاءت هنا بعد أن هون المتكلمون من أمر نبي الله هود(عليه السلام)، حيث قصروه على البشرية، وقرروا المماثلة بينهم وبينه بالأكل والشرب.

أما بالنسبة لآية يوسف:

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَخَاسِرُونَ﴾ [سورة يوسف: ١٤]

فيلحظ أن جملة (إذًا) وما تقدمها من القول إجابة لقول يعقوب(عليه السلام) السابق:﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ وهذا بخلاف الآيتين السابقتين، ففي سورة الأعراف لم يكن القول المتضمن لحرف الجواب (إذًا) واقعا إجابة لقول سابق، ولهذا دخلت الواو على هذا القول، أما بالنسبة لما جاء في سورة (المؤمنون) فلم يكن القول إجابة لنبي

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري: ١٨٦/٣

الله هود في قوله لهم: ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾؛ لأن الملأ حول الخطاب إلى قومهم(١)

والمهم أن إخوة يوسف (عليه السلام) أجابوا أباهم على طريق المقاولة، وقد جاء ردهم مشتملا على القسم وجوابه، وغايتهم في هذا اكتساب ثقة أبيهم، ولهذا جاء كلامهم كلام الواثق المدل بقوته، فأظهروا من الأسباب ما يمنع حدوث ما يخافه يعقوب (عليه السلام)، وهي كونهم عصبة، ونبهوا بـ(إذًا) على فداحة الأمر من خلال هذا الربط بين القسم والجواب، حيث سلطت(إذًا)الضوء على الخسارة مقرونة بالقسم؛ مناداة على قبح هذه الخسارة؛ لأنه إذا كان هناك ما يمنع حدوثها فحدوثها فيه من الخيبة ما يستحق معها صاحبها الهلاك، وتستحق هي أن يعلم بها نحو قوي يناسب عظمها.

لقد كانت رغبة إخوة يوسف في إقناع أبيهم هي السبب في الإعلام بالجواب على نحو قوي، ولاحظ في هذا نسبة الخسران لأنفسهم إذا تحقق ما يخافه أبوهم، وما فيه من رغبة في نقل الإحساس بعظم هذا الخسران، وإظهار الأنفة من حدوثه؛ لأن الإنسان لا يرضى أن ينسب إليه الخسران، ومن ثم فنسبة الخسران وتسليط الضوء عليه مقرونا بالقسم هو في الحقيقة من باب نقل الإحساس بعظم هذا الخسران، وغايته إظهار الأنفة منه، وإنكار حدوثه منهم؛ لأن هذا لا يكون إلا للمسلوب "من صفات الفتوة من قوة ومقدرة ويقظة، فكونهم عصبة يحول دون تواطيهم على ما يوجب الخسران لجميعهم."(٢) أما هم فقد ذكروا أنهم عصبة ،وهو كلام تشعر معه بالأنفة والثقة، وكأنهم يقولون: لسنا من

(١) ينظر التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور: ٢٠١/٨-٢٠٢، ٤٢/١٨

(٢)السابق: ١٢/ ٣٢

يحدث معه هذا، فهذا وصف الخاسرين، وفي هذا إظهار للقوة وتعزيز للثقة، ولهذا علت نبرت التأكيد أكثر من مرة.

الموضع الثالث: قال تعالى:

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ﴾{يوسف ـ٧٩}

(إذًا) وجملتها هنا قريبة من الآية السابقة، والفرق هنا يكمن في أن القائل في الآية:(إِذاً لَظَالِمُونَ) جاء بالجمع، والمراد به المفرد، وهناك بالإفراد، وجملة(إذًا) هنا مرتبطة بمتقدم، وهو قوله تعالى:﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) وهي واقعة منه موقع الجواب، ثم هي كذلك جزاء لشرط محذوف تقديره: إذا أخذنا غير الذي وجدنا متاعنا عنده إنا (إذًا) لظالمون، وغاية الحذف إظهار لعدم الرضا بوقوعه، كما يشي بذلك:(مَعَاذَ اللَّهِ) إذ المعنى: " نلجأ إلى الله أن يعصمنا من أخذ من لا حق لنا في أخذه."(١)

وفائدة (إذًا) الإعلام بالجواب على نحو قوي، حيث نبهت على العلاقة بين القولين وزادت من الصلة بينهما، وكذلك أكدت ارتباط الشرط بالجزاء، والإعلام والتأكيد هنا ناظران إلى رفض يوسف القاطع لطلبهم الذي طلبوه بصورة قوية؛ لأنه جعل الموافقة عليه مدخلة له في زمرة الظالمين، الأمر الذي يلزم منه الانتهاء عن فعله على طريق الكناية، كما سبق بيان نظيره، وربما يفهم من التصريح بـ (إذًا) هنا أن الظلم ظاهر بالنسبة للشرط أو القول ، فكيف يطلبون هذا منه، يقول الزمخشري: "فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلماً في مذهبكم، فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم."(٢).

(١) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور:١٢: ١٠٤

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري : ٤٩٣/٢

الموضع الرابع: قال تعالى:

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ﴾ {الحجر-٩}

(إذًا) في النظم الكريم على معنيين: الأول: إنشاء الارتباط، الثاني: تأكيد ارتباط الجزاء بشرطه، وذلك باعتبارين مختلفين:

أما كونها لإنشاء الارتباط، فذلك على أنها جواب لكلام المشركين في الآية السابقة عليها: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يقول الطاهر بن عاشور عن بيان علاقة الآية بما قبلها أنها: " مستأنفة ابتدائية جوابا لكلامهم وشبهاتهم ومقترحاتهم. وابتدئ في الجواب بإزالة شبهتهم إذ قالوا: (لَومَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ) ... وكان شأن (إذاً) أن تكون في صدر جوابها. وجملتها هي الجواب المقصود لقولهم: {لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ}، وجملة {مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ} مقدمة من تأخير لأنها تعليل للجواب، فقدم لأنه أوقع في الرد، ولأنه أسعد بإيجاز الجواب."(١)

ودور (إذًا) في هذا أنها جاءت لتلفت إلى العلاقة بين كلام المشركين وما بعده وهو جملة (إذَا)، وأنشأت الارتباط بينهما، وفيها إشارة إلى غفلتهم عن هذا مما اقتضى التنبيه والإعلام به؛ لصرفهم عن باطلهم.

أما بالنسبة لكونها جزاء فهو راجع إلى كونها جزاء لشرط مقدر، لأنهم "لما قالوا: هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك؟ أجيبوا بما ينبئ عن قولنا: "إن جاءتكم الملائكة وشهدوا بصدقي فلم تؤمنوا ما أُخر عذابكم" كما قدر الزجاج معنى قوله: "إذن أكرمك، جواباً لمن قال: أنا آتيك إن كان الأمر كما ذكرت فإني أكرمك."(٢)

(١) التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور: ١٦/١٣

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): الطيبي: ١٧/٩

ويكمن دور (إذًا) في هذا في أمرين: الأول أنها جاءت لتعلم بالشرط المحذوف وما يترتب عليه ، وفي هذا كف لهم عن هذا اللجاجة؛ لارتباطه بما فيه هلاكهم، الثاني تأكيد الارتباط بين الشرط والجزاء، ووجه التأكيد بها ناظر إلى تحقق نقيض المطلوب، حيث صار طلبهم لإنزال الملائكة تعجيلا لأنفسهم بالهلاك والدمار، وقد استدعى هذا (إذًا)؛ لأنه لما كانت النتيجة غائبة عن تصورهم احتاج هذا مزيدا من الإعلام بهذه النتيجة، فجاءت (إذًا) لتؤكد الارتباط بين الشرط والجزاء، ولتمنح الجواب مزيدا من الإعلام والظهور، الأمر الذي يترتب عليه صرفهم، يقول الألوسي في بيان هذا التناقض : "وما كانوا إذا منظرين إشارة إلى حصول الضرر وترتب نقيض المطلوب، وكأنه عطف على مقدر يقتضيه الكلام السابق كأنه قيل: ما ننزل الملائكة عليهم إلا بصور الرجال؛ لأنه الذي تقتضيه الحكمة، فيحصل اللبس فلا ينفعون، وما كانوا إذا أنزلناهم منظرين، أي: ويتضررون بتنزيلهم لأنا نهلكهم لا محالة ولا نؤخرهم لأنه قد جرت عادتنا في الأمم قبلهم أنا لم نأتهم بآية اقترحوها إلا والعذاب في أثرها."[1]

وذكر الجزاء هنا دون شرطه مراعى فيه عدم إجابتهم لإنزال الملائكة، وأن الله منظرهم، ومن ثم لم يصرح بالشرط لهذا.

وخلاصة القول أن مجيء (إذًا) هنا ضرورة؛ فلولاها ما فهم هذا الارتباط بين كلام المشركين والآية محل الشاهد، أما بالنسبة لوقوعها جزاء لشرط محذوف فلا غنى عن (إذًا) كذلك، فهي بمثابة الرمز الذي يربط الكلام بعضه ببعض، ويكشف عن اللحمة القائمة فيه، حيث دلت على أ ن الكلام هنا متصل بمسكوت عنه يفسر ارتباط الكلام، وذلك قلت أنها لا غنى عنها؛ لأنها لو سقطت لصار

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٢٦١/٧

الكلام مبتوتا عما قبله، ويراجع في هذا ما سبق نقله عن الطاهر بن عاشور في أصل جملة الجزاء وما داخلها من تقديم وتأخير يتعسر معه فهم الارتباط بغياب (إذًا) .

الموضع الخامس: قال تعالى:

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾ {الإسراء - ٤٢}

(إذًا) هنا في معرض تفنيد شبهة تقضي الإبانة والكشف، وقد ناسب هذا الإجابة عن هذه الشبهة عن طريق الشرط وجوابه الذي يقتضي الترتب الطبيعي على هذا النحو بصبغة منطقية لتفنيد الشبهة ودحضها.

وهي هنا جواب وجزاء معا، ولا يقصد بكونها جوابا هنا أنها أجابت عن سؤال أثارته الجملة الأولى في النفس، حتى كأن سائلا سأل ماذا يحدث لو كان معه آلهة؟ لأن هذا يجعل من جملة الجواب مستأنفة مفصولة عن الشرط(قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ) وهذا لا يستقيم هنا، إلا أن يكون تقدير السؤال الذهني من أجل بيان المعنى فقط دون إرادة الصنعة الإعرابية، والمقصود بكونها جوابا هنا أنها نبهت على أن ما بعدها اشتمل على الرد على قولهم، وفي هذا يقول الزمخشري "وإِذَا دالة على أن ما بعدها وهو (لَّابْتَغَوْا) جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو."(١)

على أن تضمن الجواب للشرط والجزاء هو الطريق الأنسب لعقول المشركين حيث اقتضى تماديهم في الغفلة أن يعرض للباطل الذي يقولونه عن طريق الشرط والجزاء بعيدا عن إثارة النفس للوقوف على ما حذف؛ لأن من لا يحسن أن يرى ما لا يخفى لا يخاطب بما يطوى، ويدل على هذا أن القرآن

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري: ٦٦٩/٢

لم يكتف بإجابة الجواب المترتبة على شرطها بل حققها بـ (إذًا) التي جاءت لتعيين معين ظاهر دعا إليه تماديهم في الغفلة.

لقد خاطبهم القرآن هنا كما يخاطب الجاهل فعين لهم المعين وهو الجواب كما يعين للجاهل الذي لا يستوعب، وفي هذا تعريض بغبائهم، وتحقيق الإجابة في نفوسهم بشكل مقررة، ولا شك في أن التدخل في إظهار الجواب الظاهر متناسب مع تعاميهم عن الحق، فناسب هذا التصريح بـ (إذًا).

الموضع السادس: قال تعالى:

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ وَكانَ الْإِنْسانُ قَتُورًا﴾ {الإسراء -١٠٠}

الكلام هنا معقود على الرد على قول الكافرين السابق : "(لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا." [1] وقد جاءت (إذًا) هنا لتحقيق الجواب بصورة قوية في نفس المخاطبين؛ حيث عملت إذا من خلال ربط الجواب بالكلام السابق أولا وربط الشرط بجزائه ثانيا ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ وَكانَ الْإِنْسانُ قَتُورًا﴾ على إظهار شدة بخل الإنسان، ودلت على أن الأمر من الظهور بحيث لا يحتاج إلى دليل؛ لأنه إذا تحقق الأمر مع فرض المستحيل وهو امتلاك خزائن رحمة الله كان تحقق البخل مع غيره أولى.

(١) معاني القرآن وإعرابه: ، أبو إسحاق الزجاج: تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م) : ٣/٢٦١

ويكمن وجه إلى الحاجة إلى (إذًا) في النظم الكريم :

١. أنه لما كانت غاية الكافرين المعلنة في طلبهم ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ وهي إرادة التوسع في المعيشة[١] واقعة على خلاف الظاهر اقتضى هذا أن يأتي الكلام مبنيا على المواجهة التي تقتض الإظهار والبيان مع تعيين الإجابة.

٢ـ أن البخل لما كان بهذا الظهور اقتضى هذا إظهار(إذًا) وكأن المسألة لا تخفى ولهذا يلحظ أن النظم الكريم عمل على إيضاح هذا الأمر وتقريره بإيقاع (إذًا) في جزاء الشرط؛ لأن الربط بين الشرط وجزائه بـ(إذًا) مع وضوح الصلة وعدم خفائها فيه زيادة إيضاح وتقرير للعناية بالأمرين، فكأنه نبه عليه مرتين: مرة للعلاقة الطبيعية بين الشرط والجزاء، ومرة للتعين مع وجود القرائن الظاهرة التي تعين من غير معين، وإنما عينت الإجابة مع إظهار الشرط؛ لأن النتيجة غير منطقية بالنسبة للشرط، ومن ثم اقتضى هذا تقرير الكلام بـ(إذًا) تقوية له، وشيء آخر في هذا التعيين هو أن الكلام لما بني على التخصيص في قوله تعالى: (أنتم تملكون) بتقديم الضمير المنفصل ناسب هذا الإعلام بالشرط والجواب على وجه التأكيد.

٣. أن عرض النتائج غير المنطقية بالنسبة لأسبابها يستدعي مزيدا من الكشف والبيان، ومن ثم فقد وجه القرآن نظر الإنسان إلى هذه الحقيقة، ففرض المستحيل له، وهو امتلاك خزائن الأرزاق؛ ليظهر قتره، ولهذا لم يحسن الحذف هنا؛ لأن طي الشرط في هذا لا يعمل عمل إظهاره؛ لأن عاقلا

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي تحقيق: أحمد البردوني: وإبراهيم أطفيش (دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م) : ٣٣٥/١٠

لا يقع في وهمه أن يقدر من تلقاء نفسه ملك خزائن السموات والأرض، ومن هذا المنطلق حقق الله هذه الملكية من خلال الاختصاص، وعين الإجابة كذلك مع أنها معلومة.

الموضع السابع: قال تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾ {المؤمنون ـ ٣٤}

سبق التعرض له ضمن الموضع الأول والثاني من هذا المبحث

الموضع الثامن: قال تعالى:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾{المؤمنون ـ ٩١}

(إذًا) في الآية في معرض إبطال دعوى النصارى التي نفاها الله في قوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ...﴾، وقد وقعت من الكلام السابق موقع الدليل المنطقي الذي يؤكد الحقيقة، وهي هنا للجواب والجزاء يقول الزمخشري: "فإن قلت: (إذًا)لا تدخل إلا على كلام هو جزاء وجواب، فكيف وقع قوله: لذهب جزاء وجوابا، ولم يتقدّمه شرط ولا سؤال سائل؟ قلت: الشرط محذوف تقديره: ولو كان معه آلهة، وإنما حذف لدلالة قوله: وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ عليه. وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين عَمَّا يَصِفُونَ من الأنداد."(١)

وإنما حذف الشرط هنا للإشعار بأنه وهم لا يثبت أمام هذا الجواب الذي قضى على هذه الفكرة ومحا وجودها، أو للإشارة إلى أن هذا مما لا يفرض ولا يتصوره عاقل؛ لأنه لو حدث "لا نفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به، ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين، ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون وحين لم تروا

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري: ٣/٢٠٠

أثرا لتمايز الممالك وللتغالب، فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء."[١]، أو مسارعة إلى وأد هذا الوهم وقطع اللجاجة فيه.

وكل هذه الوجوه حاصلة، وقد أفاد إظهار (إذًا) ودلالتها على الجزاء مجاراة الخصم؛ لأنها استحضرت منطق الخصم وفرضته من خلال الشرط الذي نبهت عليه، ثم رتبت عليه الجزاء، وفيه حقائق مؤكدة لا تنكر، وفضل (إذًا) فيما جاء عليه النظم من مجاراة الخصم أنها زادت ارتباط الجزاء بالشرط قوة وتأكيدا، ونبهت على أن الترتب ظاهر لا يتخلف ولا يخالف فيه، وهو ذهاب كل واحد من الإلهة بما خلق، الأمر الذي يلزم منه التسليم بالحقيقة المقررة في النفي الواقع في أول الكلام، فكون هذا الأمر على هذا النحو من الظهور يلزم منه تقرير الحقيقة السابقة، ويلزم منه كذلك إلجاؤهم إلى ترك التمادي في الضلال، وكذلك توبيخهم على ادعائهم؛ لأنه إذا كان الأمر على هذا النحو من الظهور، فلماذا هذا التمادي في الضلال؟.

الموضع التاسع: قال تعالى:

﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء ـ ٢٠]

اختلف النحويون في توجيه علاقة (إذًا) في الآية المباركة بما جاءت لتجيب عنه، هل هي واقعة في جواب شرط متقدم دلت عليه (إذًا) ونبهت على ارتباطه به، أو هي جواب على الكلام المتقدم عليها، وهو قول الله تعالى حكاية لقول فرعون:﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ {الشعراء ـ ١٨ـ ١٩ } وجمهور النحويين على أن (إذًا) وجملتها إجابة لقول فرعون؛ لأنه لا معنى للشرط في هذا [٢] لأنه يترتب

(١) السابق: ٢٠٠/٣

(٢) ينظر حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (دار الكتب العلمية بيروت–لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ –١٩٩٧م) : ٤٢٤/٣

على تقديره إشكالا يوهم غير المراد، وهو "إِثْبَات الضلال لمُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَام)؛ قَالَ: وَلم يرد إِثْبَات الضلال لنَفسِهِ، فأثار إِشْكَالًا."[١]

والمعنى على هذا الوجه: "لم أفعل ذلك كفرا لنعمتك كما زعمت بل فعلتها وأنا جاهل أن الوكزة تقضي عليه، ويؤيد ذلك قراءة من قرأ: (وأنا من الجاهلين)."[٢]

وتقدير الكلام على الشرط هنا هو مذهب الشلوبين، وقد نسب الصبان هذا الرأي إلى التكلف، يقول الصبان: "وتكلف تخريج نحو: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ على الشرط والجزاء أي: إن كنت فعلت الوكزة كافرًا لأنعمك كما زعمت يا فرعون فأنا من الضالين."[٣]

وما ذهب إليه الصبان يحتاج إلى نظر؛ فقد ذكر ابن ناظر الجيش نقلا عن الشلوبين أن موسى (عليه السلام) لم يثبت ضلالا ولا كفرا لنفسه[٤]، وإنما هو ينفي الأمرين معا لأنه علق ثبوت الضلال له بتحقق ثبوت الكفر، فإذا ثبت أنه لم يكفر بنعمه لزم هذا انتفاء الضلال عنه، وهذا التفسير لا يلائم المقام.

والأحسن أن تحمل (إذًا) على أنها جواب لكلام سابق خاصة أن من حملها على الشرط يقول : إنها للجواب والجزاء مفسرا الجزاء بمعنى المجازاة، كما

(١) مسائل (إذن): أحمد بن محمد بن أحمد القرشي (مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ١١٩ –السنة ٣٥ – ١٤٢٣هـ) : ٤٢٢

(٢) شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون(دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ) : ٨ / ٤١٦٧

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ٤٢٥/٣

(٤) شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»: ابن ناظر الجيش: ٤١٦٧/٨

ذهب الزمخشري: في قوله:" وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ فيه معنى : إنك جازيت نعمتي بما فعلت ، فقال له موسى : نعم فعلتها مجازياً لك ، تسليماً لقوله ، لأنّ نعمته كانت عنده جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء."(١) وقد نقل الألوسي الاعتراض "بأن هذا لا يلائم قوله: وأنا من الضالين؛ لأنه يدل على أنه اعترف بأنه فعل ذلك جاهلا أو ناسيا."(٢)

والمهم أن إظهار (إذًا) مع حملها على أنها إجابة للكلام السابق أولى؛ لأن تقدير الشرط واستحضاره بـ(إذًا) لا يناسب الموقف، وما فيه من سرعة تعكس ثبات موسى(عليه السلام) أمام محاولة فرعون لإثنائه عن دعوته بإفحامه بما ذكره، وتأتي بلاغة الكلام مع هذا في أنه كشف عن حال موسى(عليه السلام)، وما كان عليه حال الجواب من رباطة جأش، فلم يتهيب بل أجاب إجابة الواثق، فأظهر (إذًا) إعلاما بجوابه وإظهارا له بصورة مؤكدة تدل على يقينه فيما يقول، وصدق لهجته في جهله بأن مثل هذا يقضي عليه، وفي إظهار موسى إجابته على هذا النحو قطع الطريق على فرعون؛ لأنه لما عدد نعمه عليه من تربية وإكرام... أراد إسكاته وأن يسقط في يديه، فكانت هذا الإجابة لتضييع الفرصة على فرعون.

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري: ٣/ ٣٠٦

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٧٠/١٠

المبحث الخامس: بلاغة حرف الجواب (إذًا) الواقع في الإجابة عن القسم

من المواقع التي تأتي فيها (إذًا) في النظم الكريم وقوعها في جملة جواب القسم، وقد وقعت (إذًا) هذا الموقع في موضع واحد، دعا لوقوعه فيه: الرغبة في تعظيم الأمر في قلب السامع، وقد استخدم القسم فيه وسيلة للإعلام بأن الأمر جد خطير يقتضي التحذر منه، وجاءت (إذًا) في جوابه لتضاعف هذا الإحساس من خلال تأكيدها على ارتباط القسم بالجواب.

قال تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ.﴾ {البقرة ـ ١٤٥}

جعل الطاهر الجواب هنا للشرط؛ لأنه رأى أن هذا هو الأنسب بمقام فرض المستحيل. وهو اتباع النبي أهواء الكافرين، ومن ثم جعل (إذًا) مؤكدة لارتباط الجزاء بالشرط(١)

وكونها هنا مؤكدة لا خلاف عليه، ولكن الخلاف هل التأكيد حاصل بالنسبة للشرط أو القسم، وقد ذهب أبو حيان بعد نقاش طويل إلى أن "إذا في الآية مؤكدة للجواب المرتبط بما تقدم"(٢) دون أن يحدد هذا بالشرط أو القسم.

والذي أراه أنها هنا مؤكدة للقسم؛ بناء على القاعدة المشهور أنه إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للمتقدم منهما، والمتقدم هنا هو القسم، "وجملة: «إنّك إذاً

(١) ينظر التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور: ٣٥/٢

(٢) البحر المحيط في التفسير: أبو حيان: ٣١/٢

لَمِنَ الظَّالِمِينَ » لا محلّ لها جواب القسم المقدّر في لئن اتبعت.. وجواب الشرط محذوف دلّ عليه جواب القسم."[١]

ودور (إذًا) في هذا أنها عينت قوة الارتباط بين القسم والجواب وأحكمته، ومنحت الجواب مزيدا من الاهتمام؛ لأنها عينت المعين الظاهر ودلت عليه حتى يقر الأمر بصورة واضحة، ولا شك في أن هذا من شأنه أن يمكن للتهديد الذي في جملة الجواب في النفس؛ لأنه جاء والعين مفتوحة علية وعلى ما فيه من تأكيدات تهول من عظم الأمر.

وإظهار (إذًا) هنا مما يقتضه هذا المقام؛ لأن فرض المستحيل وقوعه في حق النبي (صلى الله عليه وسلم) مع التصريح بعدم وقوعه(وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) يدل على أن حدوث مثله أمر عظيم يقتضي التحذر منه، ولهذا يلحظ أن جملة الجواب جاءت مشبعة بالتأكيدات؛ حثا للسامعين على شدة الانصراف عن مثل هذا، وتقرير الأمر في نفوسهم بصورة قوية.

على أن حاجة النظم الكريم إلى (إذًا) تظهر بصورة واضحة إذا نظرنا إلى الغاية من وراء فرض المستحيل هنا، وهي كما ذكرها الزمخشري "استفظاع لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى"[٢]، ذلك لأن الذي يتبع الهوى بعد إنارة الدليل أمامه يحتاج إلى أن يعلم بالأمر على نحو من القوة والوضوح، فناسب هذا إظهار (إذًا)؛ إمعانا في البلاغ والإعلام، وناسب كذلك أن يشغل التأكيد والمبالغة حيزا كبيرا، ولاحظ في هذا " القسم، واللام الموطئة له، وإن الفرضية، وإن التحقيقية، واللام في حيزها، وتعريف الظالمين، والجملة الاسمية، وإذا الجزائية، وإيثار طريقة الظالمين. على أنك إذا ظالم أو الظالم."[٣]

(١) الجدول في إعراب القرآن: محمود بن عبد الرحيم صافي: ٢٩٩/٢

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري: ٢٠٣/١

(٣) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي جلال الدين =

وكل هذا كما ذكر الألوسي: " تعظيم لأمر الحق وتحريض على اقتفائه وتحذير عن متابعة الهوى، واستعظام لصدور الذنب عن الأنبياء وذو المرتبة الرفيعة إلى تجديد الانذار عليه أحوج حفظا لمرتبته، وصيانة لمكانته، فلا حاجة إلى القول بأن الخطاب للنبي والمعني به غيره."[١]

=

السيوطي تحقيق :د محمد كمال علي (رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٥ م) : ٣٤١/٢

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي: ٤١١/١

الخاتمة:

وبعد فقد حان أن أقف في الختام وقفة أجمع فيها أنوار هذا الحرف في الذكر الحكيم، ولا أدعي أني أحطت بها علما، وإنما أذكر ما هداني الله إليه فيها في صورة مجمعة يرى فيها ثمرة البحث، ومن أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج:

حصرت الدراسة مواقع (إذًا) في القرآن الكريم وقد بلغ عددها بعد التتبع الدقيق واحدا وثلاثين موضعا .

بينت الدراسة أن ما يثار هو هذا الحرف من القول بالزيادة لا أساس له من الصحة ولا محل له من القرآن، وأنه مما ينبغي أن ينزه عنه كتاب الله.

بينت الدراسة أن جهة الدلالة على الجواب والجزاء منفكة غالبا. فقد يكون الجواب بالنظر إلى شيء، والجزاء بالنظر إلى آخر.

بينت الدراسة أن جملة الجواب دائما ما تأتي في إطار الجملة الشرطية، وأن هذا هو السبب الذي جعل بعض العلماء يقول بدلالتها على الجواب والجزاء في كل موضع وردت فيه.

بينت الدراسة أن من مواقع (إذًا) ما هو وثيق الصلة بشبه كمال الاتصال، وأوصت بضرورة أدراج ما جاء من ذلك ضمن شبه كمال الاتصال .

بينت الدراسة أن (إذًا) حين تأتي جوابا لشرط مذكور يتمركز دورها في زيادة الإيضاح والتقرير، ذلك أن وجودها مع التصريح بالأمرين بمنزلة التنبيه على الترتب مرة بعد مرة، فكأنه نبه عليه مرتين: مرة للعلاقة الطبيعية بين الشرط والجزاء، ومرة للتعيين مع وجود القرائن الظاهرة التي تعين من غير معين، ودورها في هذا يشبه دور الفاء الواقعة في جواب الشرط من حيث دلالتها على التأكيد، وليس الأمر كذلك مع الحذف إذ الغاية مع الحذف تتوفر على إظهار الارتباط والإعلام بالجواب، ولا شك في أن هذا مزيد عناية بإظهار الربط بين الأمرين.

بينت الدراسة أن حذف الشرط عموما مع (إذًا) يأتي لأغراض بلاغية كثيرة منها إيقاظ النفس لتعود أدراجها لفهم ما يدعو إلى النتيجة المذكورة؛ فإذا ما قدرت هذه النفس الشرط قوي في النفس مطلوب الشرط والجزاء، أن في طي الشرط مسارعة إلى إظهار الجواب، وهذا له أسباب منها: إظهار خطورة ما نفي أولا، أو ما نهي عنه، أو مسارعة إلى إظهار عكس النتيجة المنفية لدحض منطق خصم، ومن الأسرار كذلك أن الحذف فيه إظهار لعدم الرضا بوقوعه درجة تصل إلى كراهية النطق به؛ ليأتي الجواب بعد ذلك صريحا في رصد هذه الكراهية.

بينت الدراسة أن (إذًا) حين تأتي في إطار السؤال تأتي على صورتين، وذلك أنها تأتي مع التصريح بالسؤال والجواب أحيانا، وحينئذ تنصب دلالتها على التعيين، لأن الربط بين الجواب والسؤال بـ (إذًا) مع وضوح الصلة وعدم خفائها، فيه زيادة إيضاح وتقرير للعناية بالأمرين، فكأنه نبه عليه مرتين: مرة للعلاقة الطبيعية بين السؤال والجواب، ومرة للتعين مع وجود القرائن الظاهرة التي تعين من غير معين، وقد تأتي جوابا لسؤال محذوف، وحينئذ تنبه على ضرورة تحقيق هذا السؤال الخيالي حتى تتأمل النفس فيه وتستحضره بذاته، ثم تركب عليه هذه الإجابة، وفي هذا مزيد عناية بالسؤال والجواب معا .

لحظت الدراسة أن (إذًا) حين تأتي جوابا وجزاء لشرط محذوف تأتي غالبا في أعقاب جملة تتضمن نفي فعل ما؛ لتأتي بعد ذلك جملة الشرط؛ لتفرض حدوثه؛ لتصل بالنتيجة إلى إبراز خطره، أو إبراز الداعي إلى نفيه في بدأ الكلام.

بينت الدراسة أن هناك مواقع لـ (إذً) يتحتم وجودها فيها، وذلك حين ينسب المتكلم لنفسه وصفا لا يليق به، أو ينسب المتكلم للمخاطب ما لا يليق، فتأتي (إذًا) لدفع توهم غير المراد من خلال التنبيه على أن جملتها نتيجة لشرط مفروض غير مسلم به.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ثانيا:

ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد . مراجعة د: رمضان عبد التواب (مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م)

إعراب القرآن وبيانه: : محيي الدين درويش (دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ)

أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي (دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ)

التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور التونسي (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

تفسير ابن عرفة: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، تحقيق: جلال الأسيوطي (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م)

إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي (دار إحياء التراث العربي – بيروت)

جامع الدروس العربية: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (المكتبة العصرية، صيدا – بيروت الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م)

الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي تحقيق: أحمد البردوني: وإبراهيم أطفيش (دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م)

الجدول في إعراب القرآن:: محمود بن عبد الرحيم صافي (دار الرشيد مؤسسة الإيمان – دمشق الطبعة : الرابعة ، ١٤١٨ هـ)

الجنى الداني في حروف المعاني: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري: تحقيق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة:الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢ م)

حاشية الدسوقي ضمن مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ابن هشام ، الشيخ/ محمد عرفة الدسوقي (دار السلام . الطبعة الثالثة . ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م)

حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (دار صادر – بيروت)

حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (دار الكتب العلمية بيروت–لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م)

دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عضيمة (دار الحديث، القاهرة . بدون طبعة)

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي: تحقيق: علي عبد الباري عطية (دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ)

شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش: دراسة وتحقيق: أ.د. علي محمد فاخر وآخرون(دار السلام للطباعة

والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربية الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ)

شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، (دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م)

شرح الرضي على الكافية: رضي الدين الأستراباذي: قدم له ووضع حواشيه وفهارسه : إميل بديع يعقوب (دار الكتب العلمية، بيروت)

شرح تسهيل الفوائد: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين: تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون(دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى١٤١٠هـ – ١٩٩٠م)

شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي : تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي(دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى،٢٠٠٨ م)

فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي :مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا (جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م)

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: (دار الكتاب العربي – بيروت . الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ)

مسائل (إذن): أحمد بن محمد بن أحمد القرشي (مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ١١٩ – السنة ٣٥ – ١٤٢٣هـ)

معاني القرآن وإعرابه: ، أبو إسحاق الزجاج: تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي (عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م)

مفاتيح الغيب التفسير الكبير (دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ)

النحو الوافي: عباس حسن (: دار المعارف الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة)

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: الإمام / برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الثانية / ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٢ م)

نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي جلال الدين السيوطي تحقيق :د محمد كمال علي (رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٥ م)

الواو ومواقعها في النظم الكريم: د/ محمد الأمين الخضري (مكتبة وهبة . القاهرة . الطبعة: الأولى ١٤٣٦هـ . ٢٠١٥)

الوسيط في تفسير القرآن المجيد: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي: تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م)